



# مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

ربيع الأول 1443 هـ - أكتوبر 2021

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

من الشعراء الذين وصفوا بلاد العرب الشاعر الإيرلندي الشهير توماس مور Thomas Moore، 1852-1779، وهو من أهم الشعراء الإيرلنديين الرومانسيين، وكان صديقاً لكل من اللورد بايرون، وبيرسي شيلي. له عدة أعمال من أهمها «للا روح» Lalla Rookh التي نشرها عام 1817، وكسب منها أموالاً هائلة في ذلك الوقت تقدر بـ 3000 باوند. لالا روح عبارة عن أربع قصائد ملحمية، تصف رحلة الأميرة لالا روح من دلهي إلى كشمير لتتزوج ملك بتشاريا.

أترجم منها هذا المقطع المتعلق بوصف الخليج العربي، أو «البحر الأخضر» Green Sea، كما يسميه توماس مور.

(الخليج العربي)

استيقظ الضجُّ في طهر وفي سلم .. ولاح منه خليج العرب كالحلم  
وأظهر النخل في البحرين، باسقة .. والعنبر الأشهب الملتف في قشم،  
هنا الشواطئ أرواح معطرة .. والهند فيها محيط طيب النسم  
وفي مُسندم، إن هبت نسائمه .. طابت «سلامة» تُهدي البرء للسنم  
هناك بحرٌ وأعماقٌ مقدسة .. تلقى اندوربها للسنم من قدم  
الكرم والورد والترجيل يقذفها .. بحارة يتقون الموج بالنعم  
إن العفاريات إن هزت سواريهن .. تأتي القرايين بالألطف لا النقم!  
تاود العنديب الآن في طرب .. محلقاً من أعالي الدوح في نعم  
ونجمة الصبح لا تخفي ترنمه .. إذ كان يشدو وحيداً في مدى الظلم  
هناك في أيكة الرمان تسمعه .. والفجر صافٍ كمنهل من الديم  
حيث الندى كالألالي الساطعات على .. سيف تزيي به السلطان مننم



التفسير الاجتماعي للأحلام... برنار لاهير



الجماليات في الإسلام بين التجريد والتجسيد... ماسيمو كامبانيني



ما تعالق من التاريخ الفكري العبري الإسلامي... مؤلف جماعي



حوادث تاريخية صحت مسار كيرالا... فيلايو دهان بانيكاشير



مدخل إلى نظريات التعليم... ماركوس ريفر- ليدش



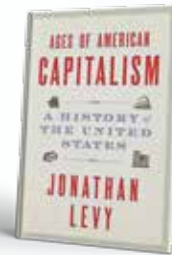
الدخل الأساسي والأموال السيادية... جيف كروكر



حتى يموت الجميع... ديامانت ساليهو



البحيرة المفقودة... مايمه دوناني



عصور الرأسمالية الأمريكية... جوناثان ليفي



الابتكار التكنولوجي والتنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة... ستيفان موبوس

## إصدارات عالمية جديدة





## ما تعالق من التاريخ الفكري العبري الإسلامي نصوص مستلة من مجموعة فيركوفيتش بسان بطرسبورغ مؤلف جماعي

محمد الشيخ \*

ثمة من النصوص الكلامية والفلسفية والصوفية العربية المتأثر بالعبرية الحروف بالعشرات. وبمقدارها وأكثر يوجد من المتكلمة والمتفلسفة والمتصوفة اليهود من ذوي الخلفية الإسلامية كلامية معتزلية كانت أم سينية رشيدي فلسفية أم غزالية زهدية رقائقية صوفية ... ولعل أشهرها كان ابن ميمون.

بات نهبا للوسس ينخره. وقد شرع في إصلاحها على الرغم من العديد من الصعوبات التي طرحها هذا الإصلاح. ولا زلنا لحد اليوم لا تتوفر على جرد شامل بمحتوياتها. وتعود أهمية هذه المخطوطات إلى أنها تحوي نصوصا اعتزالية ثمينة لا تكاد تهتم بها، للأسف، إلا مجامع بحث أوربية أو إسرائيلية. وعلى الرغم من كل جهود فرق البحث، فإننا لازلنا اليوم لم نكشف إلا قمة جبل الجليد الطافية، أما عمقه الغائص فلا زال بمسيس حاجة إلى مزيد تنقيب.

المخطوطات الواردة في هذا الكتاب

هذا الكتاب ثمرة جهد فريق بحث «المعتزلة في الإسلام واليهودية» بعد أن قام بزيارات عدة إلى روسيا (2008-2010) وبتمويل أوربي وأمريكي. وأغلب المخطوطات المنشورة في الكتاب دونت بحروف عبرية. وتكمن أهمية الكتاب في أنه أعاد هذه النصوص إلى أصلها العربي. ومجمل هذه المخطوطات، للأسف، مخرومة بخروم مهولة. وهي تطرح مشاكل لا حصر لها في قراءتها وفي استخلاص خلاصات منها. على أن المغامرة بنشرها أولى من تركها على حالها، وأي حال؟ وعذر الباحثين في ذلك أن ما لا يدرك كله لا يترك جزؤه.

١.

قطع من شرح عبد الجبار الهمداني لكتاب مجهول العنوان من تأليف أبي هاشم الجبائي

بما أن مؤلفات أبي هاشم الجبائي لم يصلنا منها، على الأغلب، اللهم إلا أساميها؛ شأن نقد الأبواب والجامع. مختصره ومبسوطه. والبغداديات، فضلاً عما نسب إليه من آراء، فإننا لا نعرف على وجه الدقة أيها يشرح القاضي عبد الجبار هنا. ومهما يكن من أمر، فإن شروحات القاضي تتناول قضايا مألوقة في علم الكلام الاعتزالي لطيفة وجليدة. لكن ما وصلنا على وجه التدقيق إنما هو بعض من دقيقه. «الفلسفة الطبيعية». ومنه مسألة التوليد والماسة، وكله يدور على قضية الأعراض وآثارها.

٢.

قطع من شرح عبد الجبار الهمداني لكتاب مجهول العنوان من تأليف الصاحب بن عباد وهذا مخطوط شديد الخرم فادحه. ينقسم إلى مسائل مدارها على قضايا دقيق الكلام،

الدراسات العبرية. إلى تفضيل المؤلفين العبرانيين والمؤلفات العبرية، بينما أهملوا هم المواد الإسلامية في هذه المجموعات الجنيزية. ومن جهة أخرى، قليل هم من الباحثين في الثقافة الإسلامية الكلاسيكية من استثمر هذه المصادر، على الرغم مما يؤكدونه ناشرو هذا الكتاب من أهميتها. فضلاً عن هذا، ظلت مجموعة اليهودي الروسي أبراهام فيركوفيتش (1786-1874)، بالخصوص، خبية خفية صعبة التداول على أغلب الباحثين من خارج الاتحاد السوفياتي طيلة القرن العشرين. ومعظم مخطوطات فيركوفيتش هذه كانت قد أخذت من جنيزة بيعة طائفة القرائين. معبد رابي سمحاه. في حارة زويلة بالقاهرة الجديدة. وعلى خلاف مخطوطات جنيزات أخرى. ابن عزرا مثلاً. تقل فيها الوثائقيات. شأن الرسائل وعقود النكاح والوصايا والتبرعات. التي تنبئ بالجوانب الاجتماعية والمؤسسية والاقتصادية لطائفة اليهودية. تلقاء ذلك، تتميز باحتوائها على شذرات. مع الأسف لحقتها عوادي الزمن فألفت منها قسماً كبيراً، وأصابها قسماً آخر بخروم فادحة. تدور على مختلف المباحث الفكرية الوسيطة: تفسير التوراة، علم الكلام، الفلسفة، المنطق، أصول الشرائع، الطب، الفلك، وعلوم أخرى، الآداب ... فضلاً عن أنها، مقارنة بغيرها، أطول نفساً. وكانت طائفة كبيرة منها تعود إلى مكتبة فرقة القرائين بأورشليم، ثم جلبت إلى القاهرة بعد الغزو الصليبي عام 1099؛ فتم بذلك صون نصوص هامة تنتمي إلى ما دعي العصر الذهبي للقرائين بأرض فلسطين (القرنان العاشر والحادي عشر الميلاديان) في ما يتعلق بتفسير التوراة.

ومن أهم ما احتوت عليه هذه المخطوطات مجموعة كبرى من المخطوطات العربية المكتوبة بأحرف عبرية. وأغلبها مجهول للباحثين المحدثين. وطائفة منها فريدة لا يوجد لها نظير. وقد ألفها مؤلفون مسلمون. لكن، مع الأسف، أغلبها نالته أيادي الزمان بخروم فظيعة، وكان لها أن تضع الضياع الأبدى لولا أن تداركتها أيادي الشغوفين بهذا التراث. على أن تقنية التصوير، ومنذ التسعينات من القرن الماضي، أتاحت إنجاز نسخ منها. ومع الأسف، تم استنساخ العبري منها وترك العربي يلقي مصيره المأساوي الذي كان ذكره محمد عبده منذ أزيد من قرن حين تحدث عن التراث العربي الإسلامي الذي

وقد كتب الشيخ مصطفى عبد الرازق. في تقديمه لكتاب ولفنسون عن ابن ميمون. يقول: «(...) بل إنني ممن يجعلون ابن ميمون وإخوانه من فلاسفة الإسلام (...) فإن المشتغلين في ظل الإسلام بذلك اللون الخاص من ألوان البحث النظري مسلمين وغير مسلمين يسمون منذ أزمان «فلاسفة الإسلام». وتسمى فلسفتهم فلسفة إسلامية بمعنى أنها نبتت في بلاد الإسلام وفي ظل دولته، وتميزت ببعض الخصائص من غير نظر إلى دين أصحابها ولا جنسهم ولا لغتهم». وقد ورد في الكتاب الذي بين أيدينا ما يصدق كلام مصطفى عبد الرازق. إذ ضم بين دفتيه مخطوطات في التراث الكلامي. وبخاصة الاعتزالي. والجدلي ما يكاد لا يعرف؛ لاسيما لدى الباحثين العرب والمسلمين. هو إذن كتاب في التعالق بين التراثين العبري والعربي. ولو سماه أصحابه باسم «التأثر الكلامي القرآني بالكلام الاعتزالي» لما أبعدوا. إذ مداره، في الجملة، على نصوص الاعتزال الإسلامي والاعتزال العبراني» إن هو ساغ هذا التعبير.

مروية مخطوطات

في القرن التاسع عشر الميلادي تم اكتشاف جنيزات كثيرة منبثة في ربوع الشرق الأوسط، وكانت أهمها تلك التي كانت توجد بالقاهرة. وعادة ما يطلق اسم «جنيزة» على مجموعة الأوراق والوثائق التي لا يجوز إبادتها أو إهمالها وفقاً للديانة اليهودية؛ وخصوصاً إذا ما هي ضمت اسم الجلالة بين ثناياها، وإنما يتم تخزينها في غرفة معزولة في البيعة أو المعبد لأجيال. لكن سرعان ما تفرقت هذه المخطوطات أيدي سبأ. إذ تخلفتها يد مهربي المستطرفات وهواة جمع المخطوطات والرحالة والمغامرين، بل حتى العيارين. وكان من عدادهم سالمون فيرثيمر وسالمون مونك وأبراهام وسالمون شيشتر، وغيرهم كثير. وقد تشتت هذه المقتنيات الغنائم في مكتبات أوربا الغربية وروسيا وأمريكا الشمالية. ونشأ عنها الاستكشاف العلمي لذخائر الجنيزات ودراسة الطوائف اليهودية في العصور الوسطى في السياق الإسلامي. وتطور هذا الاستكشاف خلال القرن العشرين، وشهد بعضاً من الازدهار. على أنه بقيت ثمة ثغرات في هذا الاهتمام: من جهة أولى، نزع دارسو هذا التراث. ومعظمهم ينتمي إلى حقل



هذا مخطوط مكتوب أصلاً باللسان العربي. وصاحبه غير مشتهر. وقد حفظت لنا منه شذرات، وأصيب أغلبه بخروم. ويعلن صاحبه في نهايته: «رجوت أيضاً أن أشفعه برسالة في صناعة الاستدلال على طريق الإجمال». وموضوع الكتاب دأثر على ما يلي: «إعلم أن غرضنا من وضع هذا الكتاب هو إثبات الله سبحانه وإثبات صفاته». وقد أشار صاحبه إلى كتاب آخر له تحت عنوان: «كتاب التهذيب»، كما أحال المرار على زعماء الاعتزال البصري، لا سيما الجبائيين وأبي الحسين. وهو يتبنى آراء المدرسة البهشية. ومجمل ما تبقى من الكتاب مداره على فصل في إثبات الله فاعلاً وحياً ومريداً وكارهاً، وفصل في النصرى، وفصل في دليل التمانع، وباب في نفي الرؤية، وباب في أنه لا يشبه المحدثات، وباب في استحالة كونه تعالى محلاً وحالاً في جهة، وباب في استحالة الحاجة عليه، وباب في النقل وما يتبعه، وباب في الكلام في الكلام، وباب الكلام على المنجمين ومن يجري مجراهم، وباب في القضاء والقدر، وباب في الآجال، وباب في الأرزاق والأسعار.

. ٧

قطع من رد إفحام اليهود من تأليف رباني مجهول هذا عمل من أعمال الجدل الديني بين اليهود والمسلمين ألف في الرد على كتاب السموأل المغربي الشهير. إفحام اليهود. لولا أنه تفرق أشتاتاً. ويدل مدخله على أن ربانياً يهودياً أفضه، وهو يحيل فيه على كتابات ربانيين شأن بن حفي الهاروني وابن الخشيش وغيرهما. كما يتحدث بنون الجماعة «معشر بني إسرائيل الربانيون والأخبار». فضلاً عن أنه يعتمد إلى تطريز الكتاب باستشهادات مأخوذة من سعديا بن جاوون. ولا ذكر لئن ولا لماذا كتب هذا النقص. وفي الكتاب استماتة في الدفاع عن عقائد اليهود الصحيحة، وتصحيح لما نسبته السموأل إليهم خطأً، كما يحوي فقرات هامة حول منهجية تفسير التوراة وتأويلها، بمعرفة مجازات اللغة العبرية واستعمالاتها، ضداً على المجسمة من اليهود، وقد آتهم السموأل بقله الخبرة باللسان العبري. كما أن فيه تمييزاً بين مناهج المفسرين ومناهج الفلاسفة في النظر؛ هؤلاء الذين يسميهم «أرباب النواميس العقلية»، ويعتبرهم «تلاميذ عقولهم». وبالجملة، لا يخلو الكتاب عن فوائد؛ مثل رسمه صورة لاعتقادات أهل زمانه، ووضعه ضوابط للتأويل، وذكر صلة الإسلام باليهودية، والترد على دعوى المسلمين أن اليهود عمدوا إلى تحريف التوراة.

• الكتاب: ما تعالق من التاريخ الفكري

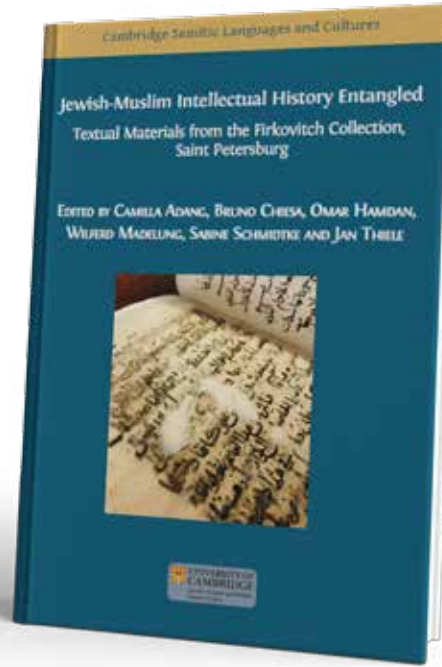
العبري الإسلامي

• مؤلف جماعي

• دار النشر: منشورات جامعة كامبريدج

• سنة النشر: 2020

\* أكاديمي مغربي



ابن متويه في دقيق الكلام، والمسائل في الخلاف بين البصريين والكوفيين لأبي رشيد النيسابوري، من تلامذة القاضي عبد الجبار، وشرح المسائل للحاكم الجشمي وكتابات ابن الرصاص المعتزلي الزيدي اليميني، وكل هؤلاء من ممثلي البهشية.

. ٥

قطع من الأصول المهدبة لسهل بن فضل التستري يسمي صاحب الكتاب مخطوطه في بداية المخطوطة باسم: كتاب الأصول المهدبة المشتملة على العلم به بالتوحيد والعدل. ويهديه إلى من يسميه «القاضي الرئيس المهدب سني الدولة» الذي لا تعرف عنه أمراً. ويحدد موضوعه على أنه: «الكلام في الدلالة على إثبات الله سبحانه وصفاته والحكمة في أفعاله»، ويحدد منهجه بأنه: «على طريق الاختصار والتقريب». ثم يسرد أبوابه سرداً: في وجوب النظر والاستدلال على معرفة الله سبحانه، قارناً الوجود بالخوف من ترك النظر وزواله بالنظر، ثم يورد باباً في التوبة المسقطه للعقاب، وباباً في النبوات، وباباً في الشرائع، وباباً في تسمية من ينبغي أن يكون بنية العاقل (وهو عنوان يعاني من تشوش)، ذاكراً فيه أنه على العاقل بوصفه مكلفاً أن يوطن نفسه على استصغار أمور الدنيا من حيث نزارتها وقلة الثقة بها، واستعظام أمور الآخرة لعظمتها والثقة بنيلها. يتلوه باب في المعاد، وباب في الحساب، وباب في تكليف أولي الأمر، في ما يخص السياسة الشرعية، وبه يختتم الكتاب. وقد دل الكتاب، مأخوذاً على الجملة، على اعترالية مؤلفه، كما أشار إلى تأثره بمذهب أبي الحسين البصري. ويبدو أن صاحبه هو المتكلم القرائي سهل بن فضل التستري الذي ازدهر في الثلث الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي.

. ٦

كتاب لذات الذات في إثبات الوحدة والصفات  
تأليف الفضل بن مفرج

شأن التولد والاعتماد والماساة والتأليف والتفريق؛ ثم ينتقل فجأة عن غدارة إلى تناول قضايا الإرادة والعلم والحياة؛ فالعودة مجدداً إلى الحديث عن الرطوبة واليبوسة... ثم سرعان ما ينقطع نفس الكتاب انقطاعاً مستكراً. وبالجملة، يتعلق الأمر هنا بتلخيص الصاحب بن عباد لتعاليم أبي هاشم الجبائي الكلامية، وقد أرفقت بشرح القاضي عبد الجبار في شذرات من بابين من أبواب علم الكلام: باب الإرادة والكراهة وباب الرطوبة واليبوسة.

. ٣

نكت المغني: اختصار مؤلف مجهول لكتاب المغني للقاضي عبد الجبار (قطع من المجلدات ١-٣)

منتقى مهذب من كتاب المغني

هذه توليفة كتب ما تبقى منها إلا جزء أول، وهي مخرومة البداية والوسط. والمؤلف أحد متكلمي طائفة القرائين مجهول الهوية. وقد أضيفت إلى النكت شذرات من مخطوطة تلك الطائفة. ومن شأن هذه التوليفة أن تسد. رغم تبديدها. ما لم يرد في مخطوطات المغني العربية التي كان قد عثر عليها باليمن، ونشرت في الستينات من القرن الماضي. ومن ثمة أهمية نشر هذه المخطوطة. وليس يغص قراءتها على القارئ اللهم إلا الخروم. وتدور المخطوطة على باب من أبواب لطيف الكلام: باب التوليد. كما تشمل تنفاً من باب آخر هو باب النظر والمعارف، وأشتاتاً من باب الصفات من جليل الكلام (العلم والقدرة والإرادة والحياة)، كما تفيد في تميم نظرية الأحوال عند البهشية ودقائق النظر في السببية.

. ٤

قطع من كتاب مجهول العنوان في دقيق الكلام

«أحوال الجواهر والأعراض»

من تأليف عبد الله بن سعيد اللباد

هذا مخطوط يجول بنا في فلسفة المتكلمين الطبيعية من «المتناهي الصغر». الجوهر الفرد. إلى «المتناهي الكبير». العالم. على أنه مخطوط أقطع أبتتر. لا مستفتح له ولا مستختم. يقذف بنا بعد خروم موصولة إلى الفصل الثامن والعشرين (في أن الأعراض يصح أن تحل الجواهر وأن الجواهر محتملة لها)، يليه الفصل التاسع والعشرون، الذي يعاني بدوره من خروم فادحة مخلة؛ فالفصل الثلاثون الذي يدور بدوره على الأعراض، فعودة إلى حديث الجواهر في الذي يليه والذي يلي ما يليه، وهكذا دواليك إلى الفصل السادس والثلاثين؛ ثم بعد خروم قدرها سبعة فصول نصل إلى الفصل الرابع والأربعين (في أن للجزء قسطاً من المساحة)... وتتوالى الفصول إلى الرابع والخمسين حيث يتم الحديث لا عن الجزء وإنما عن العالم وتناهييه. وفيه يتجلى العقل الجدلي في أشكال صورته، كأنه طاحونة تطحن قروناً، حيث يثبت الفصل الخامس والخمسون أن الأرض ساكنة... وتتعاقب الفصول والخروم إلى الفصل الثاني والثمانين حيث تنتهي على نحو فجائي مسرى الكتاب... ولا تكاد نعرف شيئاً عن صاحب المخطوطة؛ اللهم إلا ما ذكره عنه الحاكم الجشمي؛ إلا أنه يبدو أنه كان متكلماً على طريقة البهشية؛ بما من شأنه أن يكمل تذكرة



## الجماليات في الإسلام بين التجريد والتجسيد ماسيمو كامبانييني

### عزالدين عناية \*

لا تشغل محاور هذا الكتاب بتاريخ الفن في الإسلام، ولا بالمنجزات الفنية التي عرفتها الحضارة الإسلامية، بل تحديداً بفلسفة الجماليات وفق المنظور الإسلامي، أو بمعنى آخر بثقافة الجماليات والذوق الرفيع. إذ يحاول المؤلف الإيطالي ماسيمو كامبانييني (رحل عن دنيانا في أكتوبر من العام الفائت) العثور على معيارية أصيلة للفن الإسلامي بعيداً عن المنظور الغربي وعن المركزية التصويرية في الموضوع. فالمسألة وكما يرى جون كيتس أن الفن لا يستعيد الجمالية فحسب بل الحقيقة. ومن هذا الباب يناقش ماسيمو كامبانييني هذا الطرح في كتابه ويعيد للنظرة الإسلامية دلالاتها ويبرز خلفياتها.

السياق الغربي بكونها ديانة «معادية للأيقونات»، وربما بصرامة تفوق صرامة الإسلام، ولكن تلك التهمة تتوجه حصراً إلى الإسلام في التصور الغربي، وهو ما يخفي حمولة إيديولوجية واضحة. والبيان كما يرصد ماسيمو كامبانييني أن موقف الإسلام من التصوير هو معقد ومتداخل، وأن المنع الكلي والجازم للتصوير لم تعده الحضارة الإسلامية، وما ساد على مدى قرون هو وجود ضوابط في المجال. يستحضر ماسيمو كامبانييني الحادثة التاريخية الواردة في بعض كتب السيرة، أن النبي الأكرم عند فتح مكة ودخول الكعبة (630م) لتطهيرها من الأوثان، وجد الصحابة تصاوير تصوّر النبي إبراهيم والعذراء مريم أم المسيح (عليهم السلام). وقد وردت القصة لدى الطبري. يُروى أن النبي قد أمر الصحابة بمحوها حفاظاً على الصورة النقية للأنبيا والأطهار بعيداً عن أي شكلانية.

ويبين كامبانييني أن الرسامين المسلمين غالباً ما تجنّبوا رسم وجوه الشخصيات النبوية واعتمدوا ذلك النهج مع الرسول نفسه في المنمنمات التي تصوّر رحلة المعراج، ولم يرد تصوير وجه النبي المصطفى واستبدل بهالة نورانية، وإن ورد تصوير كافة الأجواء المحيطة بالرحلة بما فيها البراق الذي كان يمتطيه النبي. والملاحظ ضمن تاريخية المنمنمات الإسلامية أن الرسوم في الحضارات الإسلامية، الفارسية والتركية والمغولية، كانت أكثر جرأة وهو أمر عائد لريادة أبناء تلك الحضارات في هذا المجال. في حين كانت مدارس الرسم المتأثرة بالأجواء العربية، في بلاد الشام والعراق، أكثر تحفظاً. ويعيد ماسيمو كامبانييني ذلك إلى تأثر المنظور العربي بالرؤية السامية الصارمة تجاه التصوير والتجسيد. يدعم كامبانييني قوله بالاستناد إلى أبحاث الكاتبة الإيطالية ماريا فيتوريا فونتانا، لا سيما في كتابها المترجم إلى العربية «المنمنمات الإسلامية» (صدر عن دار التنوير،

ولكن أشارت من جملة ما أشارت إليه إلى الصنف والنوع. نجد ابن خلدون في كتاب «المقدمة» يستدعي المفردة في تصنيفاته في ما له صلة بـ «الفنون النظرية» وفي ما يتعلق بـ «فنون الفقه». ولم تبدأ الكلمة في الارتباط حصراً بالرسم والنقش أو الهندسة سوى مع فترة العصر الحديث. وللتوضيح يشير كامبانييني إلى أن هناك ثلاثة مفاهيم في الثقافة الإسلامية يمكن أن تحيل على الفن وهي: الأدب والفن والصناعة. فلا تنحصر الجمالية في المنظور الإسلامي في فن التصوير بل تتجاوز ذلك الضرب من الإبداع. وإن كان موضوع التصوير من المواضيع الشائكة، إذ يحيل على قضايا التجريد والتجسيم في الفن الإسلامي. فليس التجسيم كما هو رائج مكرهاً ومبعداً، بل يكون كذلك في السياق الإسلامي حين يُمثل مسأ من جوهر الدين أو انتهاكا لخلقياته وتمثلاته. فضلاً عن ذلك أن الجماليات الإسلامية ليست جمالية حسيّة محصورة بإطار دنيوي، وليست كذلك جمالية جوفاء في المطلق، بل هناك عناصر تضبطها وأطر تحتضنها ما يجعلها وسيلة ترقى بالحسّ الإنساني إلى مراتب سامية.

إذ لا تنحصر الجماليات ضمن المفهوم الإسلامي في فن التصوير أو ما شابه ذلك من الفنون. وضمن تطوّر مفهوم الفن في السياق الإسلامي يبرز كامبانييني، بالاستناد إلى الفكر الإيراني سيد حسين نصر، أن القرآن قد جعل من فن الخط والهندسة المعمارية وترتيل القرآن علاماته الفنية البارزة. وبشأن قضايا التحريم والتحليل المتعلقة ببعض المجالات الفنية، يذهب كامبانييني إلى أن التصوّر الإسلامي لا يناصر الفنون العداء بشكل عام ومطلق، على غرار ما تلخّص في المفهوم الغربي المسيحي في «العداء للأيقونات». وهي للأسف مقولة رائجة في أوساط غير العنيين بالفنون الإسلامية بشكل خاطئ ولا سيما في أوساط الغربيين. إذ الملاحظ أن اليهودية تُصنّف ضمن

يُعدّ ماسيمو كامبانييني من أبرز دارسي الإسلاميات في إيطاليا في الحقبة المعاصرة. توزعت أبحاثه وترجماته من العربية بين الفلسفة الإسلامية الكلاسيكية وتاريخ الإسلام المعاصر. واستطاع من خلال نشاطه البحثي والتصنيفي، أن يشكّل مدرسة نقدية معتبرة تقف على نقيض «المدرسة الكنسية-الاستشراقية» التي طالما هيمنت على الدراسات الإسلامية في إيطاليا ووظفتها. وفي هذا الكتاب الذي صدر بعد وفاته، وزّع الراحل بحثه على أربعة محاور: مسألة الجماليات في الإسلام؛ الوجود الشعري؛ العمارة الإسلامية؛ ومباهج الموسيقى.

في مستهلّ الكتاب حاول كامبانييني معالجة قضايا عامة على صلة بموضوعي الفن والجماليات. حيث أورد في المحور الأول أن مفردة «فنان» (artista) في الأوساط الجامعية الغربية، إبان العصور الوسطى، كانت تشمل المعنيين بالخطابة والجدل والنحو، فضلاً عن المعنيين بالهندسة وعلم الفلك والموسيقى. وقد كانت جملة من الصنائع إلى عهد دانتي أليغييري، مثل الحرايرية والصارفة وباعة التوابل يُصنّفون ضمن الفنانين. وبالتالي ما كانت المفردة منحصرة بفنون التصوير، وإنما شملت مهناً حرفية وصنائع عملية وتخصصات ذهنية. إذ لم تبدأ فكرة الفن بوصفه خلاصة جمالية لها وظيفة مميزة، بالظهور سوى مع بدايات القرن السابع عشر الميلادي. ولو أتينا إلى التصور الإسلامي نلاحظ أن كلمة «فن» تنطوي على دلالة جليّة، ويتركز هذا التمثّل السامي في الخطاب القرآني بوصفه المعبر عن كمال التمثّل المتجلي في العربية، وتحت هذا المبرر تركّز اهتمام جملة من الدارسين المسلمين على ما يُعرف بالإعجاز اللغوي القرآني.

في حقيقة الأمر، وكما يوضح كامبانييني، لم تنحصر كلمة «فن» في التراث الإسلامي بمدلول جمالي ذوقي،



ومن جانب آخر نجد إباحة مشروطة. ولكن على مستوى مغاير نجد ترتيل القرآن وتجويده من أرقى الفنون الصوتية في الإسلام. وبرغم الجدل بشأن الموسيقى وتضارب آراء الفقهاء، ثمة احتفاء بالطرب والسمع في المجتمعات الإسلامية على مستوى معرّفٍ وعلمي، وعلى مستوى استهلاكي أيضا. فمع الفارابي وزرياب ترسّخ توجّه لإعطاء بُعد فلسفي وعلمي لمجال الموسيقى، وأمّا من الجانب الاستهلاكي فقد تطور ذلك مع العديد من المطربين والمغنين في القديم والحديث حتى باتوا بمثابة الأيقونات الفنية. نجد احتفاء كبيرا على مستوى الاستهلاك الموسيقي يبلغ مداه المتقدم مع عديد المطربين، حتى أن المطربين المهتمين إلى الإسلام مثل الإنجليزي كات ستيفانس (يوسف إسلام) لم يهجر ماضيه الفني وسعى إلى ضبطه ضمن إطار خلقي إسلامي. يتساءل كامبانيني عما يعنيه هذا الولع بالموسيقى في التصور الإسلامي؟ ويجب قائلا: ثمة جمالية للموسيقى في الحضارة الإسلامية، لم تنحصر في الإنشاد الصوفي أو في الموسيقى الدينية، فقد حاول المسلمون الحفاظ على التعبيرات المتنوعة للموسيقى وتطويرها دون الانحراف بها إلى ما يسيء للدين.

نعرف أنّ موضوعي الفنّ والجماليات، ضمن السياق الإسلامي، هما من المواضيع المهمة، بيد أنها لم ينالا حظهما من الدراسة، وربما فاقت العناية بالفن من خارج السياق الإيماني نظيرتها من داخل السياق الإسلامي. فلطالما بقي هذا المبحث مهملاً من حيث تنزيله المنزلة الصائبة ضمن السياق العام، الثقافى والمعرّفى والدوقى. ومن جانب آخر يلاحظ ضمن التحول السائد في المجتمعات الإسلامية بروز مصالحة في العقود الأخيرة بين الموقف الفقهي والإبداع الفني حوّلت الفن من حيز الفتنة إلى حيز النعمة. ما من شك أن ذلك النقص وهذا التحول سوف يدفعان إلى مراجعات كبرى بشأن الفنون ضمن السياق المعاصر للحضارة الإسلامية.

**• الكتاب: الجماليات في الإسلام.. بين التجريد والتجسيد.**

**• تأليف: ماسيمو كامبانيني.**

**• الناشر: منشورات مورشيليانا**

**(بريشيا) «باللغة الإيطالية».**

**• سنة النشر: 2021.**

**• عدد الصفحات: 186 صفحة.**

**\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا**



هذه الرؤية الإسلامية في تنبّه ملكة سبأ بلقيس إلى خطأ نظرتها الحسية وانخداعها بالظاهر قبل إقرارها بدين التوحيد، واعترافها بانحراف نهجها في قراءة الأمور الدنيوية والدينية. وهو ما وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: «قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مَمْرُدٌ مِنْ قَوَارِيرَ، قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (سورة النمل، الآية: ٤٤). وعلى هذا الأساس يذهب كامبانيني إلى أنّ الجمالية الإسلامية تُتمنّ المضمون لا الشكل، وتميل إلى جوهر الأشياء لا إلى قشورها الخادعة. وإن مثلّ الجمال الخارجي في التصور الإسلامي ضرورة لا غنى عنها، في الإمامة والديبلوماسية والقيادة وغيرها، فإنه لا يستوي مفهوم الجمالية الريحب. وهو ما ذهب إليه أبو حامد الغزالي في مؤلفه «ميزان العمل»، فلا وجود لجمال شكلي وظاهري هو منتهى الجمال في التصور الإسلامي. وضمن هذا الجدل بين الجمال الظاهري والجمال الباطني، يقول سيد حسين نصر: يمكن اعتبار الأعمال الكبرى للعمارة الإسلامية، مثل قبة الصخرة أو تاج محل، بمثابة الاستلهام الجمالي للقرآن الكريم. حيث تكشف فينومينولوجيا العمارة الإسلامية عن علاقة وطيدة بالتصور الإسلامي، فهناك صلة متينة بين ما هو ظاهر وما هو باطن، بين ما هو مجرد وما هو مجسّد.

وبناء على ما أبرزه كامبانيني من رحابة في مفهوم الجماليات في الإسلام، استعاد في محور «مباهج الموسيقى» ما حازته الموسيقى من موضع ملتبس ضمن الفنون الإسلامية. فمن جانب نجد كراهة لمجال الموسيقى،

بيروت ٢٠١٥). حيث تورد فونتانا أنّ «الضوابط الواردة في الحديث النبوي غالبا ما بقيت غير مراعاة. فقد تواضع الفقهاء في ما بينهم على بعض أوجه التيسير، كما الشأن حين تمّ التناضي عن الكتابة على نقائش القبور، رغم كافة الضوابط التي تحول دون ذلك. وضمن السياق نفسه حصل التناضي عن تشييد القباب فوق القبور، وهو ما شمل الصور أيضا» وتضيف فونتانا «كيفما كانت الأعمال، منمنمات أو رسوما على الجدران، فإنه ينبغي تصنيفها في عداد التصاوير، لا سيما وأنّ الرسوم الجدارية المتبقية قليلة العدد. فالمصوّر، وعلى خلاف النحت، لا يخلف وراءه ظلّالا وبالتالي لا يتمتّع بميزة البعد الثلاثي، ما يجعله أقلّ «خطورة» من النحت، وهو ما يفسّر سعة انتشاره في بلاد الإسلام مقارنة بالنحت». كما تستدعي فونتانا بعض الوقائع التاريخية في الشأن مثل قولها «ما هو ثابت أنّ بعض الخلفاء قد ظهرت صورهم على المسكوكات، فمن الجلي أيضا، أنّ معلوماتنا، طيلة القرون الإسلامية الأولى، تبقى شحيحة حيث لم تصلنا سوى عينات قليلة. إذ يوجد على الجدران الداخلية لحمامات قصير عمرة (الواقع في الوقت الحالي في الأردن) رسمٌ لشخص يتربّع على عرش، يُرجّح أنه للوليد بن عبد الملك (٧٠٥-٧١٥م)؛ كما توجد في المعلم ذاته جدارية تضمّ ست شخصيات تمّ التعرف عليها ولكن بشكل غير دقيق، تعود إلى كل من الإمبراطور البيزنطي، وملك القوط في إسبانيا، والملك الساساني، وإمبراطور الحبشة، وربما إمبراطور الصين وزعيم قبيلة من قبائل آسيا الوسطى».

في المحور الثالث من الكتاب المعنون بـ «العمارة الإسلامية» ثمة نقطة مهمة يشير إليها كامبانيني على صلة بموضوع الجماليات، وهي أنّ الفنّ الإسلامي، بشكل عام، ليس فناً دينياً أو مقدّساً، كما يرد في التعبير الغربي، بل هو فنّ دنيوي يغطّي مجالات عدّة ويعبر عن توجهات متباينة، ولا يمكن نعتّه بأنه فنّ ديني بالمعنى الطقوسي والشعائري الذي نجده في المسيحية وبالشكل الذي يُوظف به في الشعائر الكهنوتية، ولذلك يأتي الفن الإسلامي على صلة وطيدة بمجالات الفعل البشري، ولا تشغله تلك الصلة الطقوسية على ما هو معهود في الفن الكنسيّ. فقد نشأ الفنّ الإسلامي بين الناس وبعيدا عن أداء العبادة، بعكس الفن المسيحي الذي جرى توظيفه والتوسل به في المجال التعبدي والشعائري.

ثمة دعوة ضمنية في التمثل الإسلامي للجماليات إلى تجاوز ما هو حسي ومباشر في العمل الفني، وهي في الواقع رؤية فلسفية منفتحة تحفّز البشر على التعلّق بالمطلق والتحرّر ممّا هو حسيّ. ويرى كامبانيني معالم



## التفسير الاجتماعي للأحلام برنار لاهير

سعيد بوكرامي \*

بماذا تخبرنا أحلامنا ولماذا تتركنا صورها ورموزها، وما علاقتها بسياقاتنا الاجتماعية؟ في التفسير الاجتماعي للأحلام، طور برنار لاهير إطاراً عاماً لتفسير التعبير الحلمى انطلاقاً من مساهمات التخصصات كلها التي تناولت هذا اللغز. وحيث يظهر فضاء الحلم هناك كمكان للتواصل بين الذات والذات، بتواطؤ ورقابة أقل، مما يفرض إلى ظهور قضايا وجودية مبنية ومنظمة على نحو عميق تكون انعكاساً للتجارب الاجتماعية للحالمين.

من الكتاب حاول لاهير تحليل الأحلام بدءاً بفصلين قصيرين يذكران بالمبادئ النظرية والمنهجية الكامنة وراء مشروعه. على المستوى النظري، يأخذ هذا الشرط الأساسي الخطوط الرئيسية للجزء السابق ويذكرنا بأن مجهود التفسير الاجتماعي للأحلام يحمل بذرة طموح علمي أوسع، ويتمثل في الكشف عن «أهمية اللاوعي الاجتماعي المنظم للأفراد» ( ص ٣٢). لهذا الغرض، ينوي برنار لاهير إظهار الدور الحاسم لـ «الماضي المدمج» للحالم في تحديد أحلامه. هذا يعني ربط كل منهم بأطر التنشئة الاجتماعية المتعددة التي تجعل مسار كل حالم طريقاً ملكياً فريداً من نوعه. لذلك أجرى لاهير مقابلات معمقة ومتكررة مع المستجوبين و بالتوازي مع عملية التجميع لروايات أحلامهم، من أجل أن يمنح نفسه الوسائل الكفيلة باستعادة كل العمق الاجتماعي للحالمين.

بعد هذه الديباجة، تتاح للقارئ حرية استكشاف الحياة الحلمية للأفراد الثمانية الذين اختارهم لهذا الجزء. حيث يدرس حالات اجتماعية ومهنية نسبياً، على الرغم من أن المؤلف حاول تقديم صور تعريفية متنوعة عن الجنس والعمر والمسار الاجتماعي. وبذلك يخصص الكاتب فصلاً لكل من قام بمقابلته وتحليل أحلامه التي يستعرضها أمام عالم الاجتماع. بدأ كل فصل بصورة شخصية للحالم، متبوعة بمرواياته الحلمية مقدمة بترتيب زمني وبشكل شمولي قدر الإمكان باستثناء الفصلين الأخيرين. تعتمد تفسيرات المؤلف على العديد من مقتطفات المقابلات، التي يضمّنّها بين فصوله. من البداية إلى النهاية، يسعى لاهير جاهداً لإقامة علاقات ترابط بين «خارج أحلام» الأشخاص الذين قابلهم وأصغى إلى أحلامهم، مع مراعاته للخصائص المحددة للغة الأحلام من أجل تفكيك رموزها.

وهكذا يستكشف الكاتب ستة وثلاثين حلماً للطالبة لورا (الفصل ٣)، التي تستعد للحصول على شهادة التبريز في الأدب الحديث، والدائمة الحضور إلى

الأول؛ إذ تجده في الجزء الثاني يعتمد على مجموعة من الأحلام غير المنشورة. من خلال ربط خيوط التخيلات الليلية لأربع نساء وأربعة رجال بالتجارب الآتية في حياتهم أو المغرقة في الماضي السحيق لحياتهم، يحلل برنار لاهير انشغالهم وقلقهم الذي تمسرحه أحلامهم باستمرار. بعيداً عن الغرابة أو التناقض الواضح لقطع اللغز الشبيهة بالحلم التي تتركب ليلة بعد ليلة، فإنه يكشف بوضوح الصورة التي تتجلى، من محنة الهيمنة الذكورية، وعواقب الاعتداء الجنسي، وهلع التفاوت الطبقي، وساعات المنافسة المدرسية، والعلاقات الشاقة مع الإرث العائلي، وعواقب العنف الجسدي أو الرمزي الصادر عن الوالدين، وآثار الأخلاق الدينية المتشددة أو تداعيات الهجر الأبوي.

من خلال الاشتغال ببراعة على موضوع يُعتبر تقليدياً خارج مجال علم الاجتماع، لا يكتفي برنار لاهير بتفكيك أسطورة مرجعية مصانة من كل تأثير اجتماعي؛ بل يمنحنا الوسائل المنهجية للوصول بوضوح ونفاذ بصيرة إلى حصتنا من الأحلام التي نشيد منها عالماً موازياً لوجودنا.

في الجزء الأول من التفسير الاجتماعي للأحلام، الذي نُشر في عام ٢٠١٨، يضع برنار لاهير الأسس لبرنامج طموح، ويتمثل في إدخال الأحلام في مجال دراسة علم الاجتماع، بينما هذه الأخيرة لا تهتم، على حد تعبير روجي باستيد «إلا بالإنسان المستيقظ وكأن الإنسان النائم كائن ميت». إن الانخراط كعالم اجتماع في مجال علم النفس واللاإرادي من أجل إلقاء ضوء جديد على ما نحلم به، والسعي باختصار إلى «فهم ما لا يمكن فهمه»، يلخص التحدي العلمي الذي يكمن في معالجة هذا الموضوع. لهذا طور لاهير أولاً نظرية اجتماعية تهدف إلى تفسير عملية إنتاج الأحلام ودلالاتها. في هذا الجزء الثاني، يعتزم لاهير أن يثبت، على أساس المنهج الذي بناه بنفسه، قدرة نظريته على كشف ما يختتم في أحلام من قام بتفسير أحلامهم. في مئات الصفحات ( ١٢١٦ ص)

بهذه المراجعة الجديدة نستكمل ما أنجزناه في مراجعة سابقة لكتاب برنار لاهير: «التفسير الاجتماعي للأحلام»، وسنهتم في هذه المراجعة بالجزء الثاني الذي صدر حديثاً. ومازلنا نؤكد أن الكتاب عصاره تجربة علمية دامت أكثر من عشرين سنة، من البحث في الأسس الاجتماعية للأحلام على ضوء المستجدات البحثية في التحليل النفسي وعلم الأعصاب وعلم اللغة والأنثروبولوجيا. يرى لاهير أن دراسة الأحلام يجب أن تنطلق من اعتبارها شكلاً من أشكال التعبير البشري وينبغي التركيز بشكل رئيسي على الاستخدامات الاجتماعية للحلم، لأنها تعبر عن الجانب الوجودي والاجتماعي للأفراد، وتتجلى في صيرورة الإنسان اجتماعياً ونفسياً، وفي مخاوفه الملحة والمرضية أحياناً أو انشغالاته اليومية التي تهيم وتستحوذ وتقوده إلى عالم من الأحلام المرضية تارة والمزعجة تارة أخرى.

لكن السؤال المنهجي الذي يتبادر إلى الذهن حالما نربط علم الاجتماع بالأحلام هو كالتالي: هل تستطيع علوم الاجتماع حقاً دراسة الأحلام؟ ألم يرتبط هذا الموضوع معرفياً وعملياً بالتحليل النفسي، ثم أصبح درساً مثيراً لعلماء النفس والأعصاب والدماغ. مع العلم أن معظم علماء الاجتماع ما زالوا حتى اليوم يتجاهلون دراسة الأحلام وعلى نطاق واسع.

إن طموح هذا الكتاب، غير المسبوق في علم الاجتماع، هو وضع نظرية عامة للتعبير الحلمى، بدءاً من إنجازات فرويد حول تفسير الأحلام، حيث حاول برنار لاهير تصحيح نقاط الضعف ووجه القصور والأخطاء التي ارتكبها فرويد، والاستفادة من التطورات العلمية العديدة المنجزة منذ صدور كتاب «تفسير الأحلام». يبين لاهير أن كبوة فرويد تتمثل في اعتباره الحلم فضاء لعبة رمزية تتحقق عندما تخلو تماماً من جميع أنواع الرقابة الرسمية والأخلاقية.

يبدو أن الجزء الثاني ينحاز كلياً إلى الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري، الذي استوفاه حقه في الجزء



انطلاقة تحليل أحلام ليدي ٣٨ عاماً، طالبة سابقة في علم الاجتماع وأصبحت موظفة حكومية إقليمية، تعتمد على سيطرة الطابع الذكوري أيضاً (الفصل ٩). وقد تبلورت هذه المشكلة من خلال تفاعلات متكررة مع ذكرى اعتداء طفولي، والذي كان مصدر مضايقة منذ ذلك الحين. غالباً ما تتجلى من خلال شخصيات حيوانية تتهددها في أحلامها بخطر الافتراس والهجوم. في حالة جيرار (الفصل ١٠)، المكون والمدرّب السابق المتقاعد، نجد نفس الوجود الكلي لشخصية حقيقية في أحلامه. هذا الحضور المتكرر لطابع الاعتداء ناجم أيضاً عن حدث اعتداء في الطفولة.

تثبت مثل هذه التكرارات أنه على الرغم من عدم فهمها وإدراكها على الفور، فإن تمظهرها في أحلامنا ليس بلا معنى. إلى جانب هذه الملاحظة الأولى، يوضح برنار لاهير بجلاء على مدار الكتاب القوة البنيوية التي يمارسها الأفراد في ماضيهم المندمج داخل أحلامهم. وبالتالي فإن هذه الأخيرة تشكل أرضاً خصبة لمراقبة «فرادة الأحلام وخصوصيتها ذات الانتشار الاجتماعي» (ص ٢١٢). في ضوء هذه النتيجة المهمة، لا يمكننا إلقاء اللوم على عالم الاجتماع لكونه «جازف بالتفسير» في هذا الكتاب، على الرغم من أن تحليل أحلام معينة قد يبدو أقل نجاحاً من غيره، بحيث لا تظل هذه التفسيرات دائماً خاضعة للرقابة التجريبية، ولكن تكرار الحالات التي درست يمنح بشكل عام قوة للكتاب، هذه القوة من شأنها أن تشجع الباحثين الآخرين على مواصلة هذا البحث الاجتماعي الذي بدأ على أسس مسبقة أقل ملاءمة. على الأقل، لن يفضّل هذا العمل في إثارة فضول الكثيرين، لأنه يدعو قراءه أيضاً لاكتشاف جزء من وجودهم الحلمي السري المحفوف بالكثير من الغموض والالتباس وكأنه عالم مواز يعيشونه في منأى عن الرقابة ويكثر من الرحابة والمتعة تارة وبالكثير من الضيق والألم والأذى تارة أخرى.

## • الكتاب: التفسير الاجتماعي للأحلام ج 2

• المؤلف: برنار لاهير

• دار النشر: لاديكوفيرت، باريس، فرنسا

• سنة النشر: 2021

• عدد الصفحات: 1216 صفحة

• اللغة: الفرنسية

\* كاتب ومترجم مغربي



الخامسة والسبعين التي ذكرها سولال، القادم من خلفية كاثوليكية غنية، تعبر عن القسوة والنقص في المودة والمحبة المتجذرة في «تجربة الهجران الأبوي» (ص ٢٣٤).

تعايش هذه الحاجة إلى الاهتمام العاطفي مع نزعة قوية للوحدة التي طورها أيضاً في طفولته، بالإضافة إلى جانب التوتر الذي يمكن العثور عليه في قلب متخيله الحلمي. كما نجد لدى شارلوت ميلا ماثلاً للاستقلال، وهي طالبة علم اجتماع من طبقة مرموقة، ولكن هذه المرة تعبر عنها بـ «تصرفات قتالية» خصوصاً في علاقاتها بالرجال، والتي تسببت في تضارب علاقاتها بوالدها، والتي أطلق عليها اسم علاقة «غير صحية». يتم التعبير عن الصراع بين تأكيد الذات والسيطرة الذكورية في كل تقرير من تقارير أحلامها الـ ستة عشر تقريباً. بالنسبة إلى كليمان، ابن أحد الجراحين، فإن التناقض واضح بين قربه الاجتماعي والمهني مع والده والشعور بالحرمان العاطفي العائلي، يتمثل ذلك في علاقته المنهارة بينه وبين والديه على هامش زواجه الأخير والذي تتشكل منه ٤٢ حلماً التي كانت موضوع الدرس والتحليل. تعكس هذه المخاوف، المتجذرة في الماضي المدمج لكليمان والمحين بواسطة الأحداث الأخيرة.

كانت المجموعتان الأخيرتان اللتان قام بدراستهما كبيرتين جداً أي حوالي ١١٥ حلماً لليدي و ١٠٢٧ حلماً بالنسبة لجيرار لدرجة أن المؤلف قدم عرضاً تقديمياً لتوضيح مجموعة من النقاط المعتمدة. من بينها ترتيب الأحلام حسب موضوعاتها، وقد كانت

المؤسسة الجامعية والمتأهبة للاختبارات المرهقة، التي يرمز إليها أحياناً بالأماكن، وأحياناً تتجسد في مظهر سابق لمدرس صارم أو عم قاس. إذا كان هذا يشير للوهلة الأولى إلى مخاوف الحاملة الحالية، فإن المقابلات تكشف أن هذا مجرد تحديث لأنماط من التجارب القديمة الناتجة عن الانشقاق الطبقي أكثر من الشعور بالدونية واللاشرعية.

أما الأحلام التي سجلتها لويز (٦٧ حلماً)، (٣٣ عاماً)، وهي طبيبة مهندسة في علم البيئة المائية والتي شهدت أيضاً تعلمها أكاديمياً عالياً (الفصل ٥)، تشكل صدى لأحلام لورا. ومع ذلك، فإن اهتماماتهما المشتركة لا تنعكس بنفس الطريقة في أحلامهما، وهذا دليل على أن محتواها لا يزال يعتمد على التجارب الحديثة والماضية الخاصة بكل حالم. وبالفعل، فإن فرادة السيرة الذاتية للويز، التي تأثرت بشدة من عنف والديها قديماً وبالعلاقة عاطفية «غير متكافئة ومهينة» حديثاً، تتدخل في أحلامها مع السؤال المركزي المتمثل في عدم استقرارها الاجتماعي. هذا التشابك «للمشاكل الوجودية» مثير للاهتمام بشكل خاص في حالة توم (الفصل ٦). طالب العلوم الاجتماعية في مدرسة مرموقة، وينحدر من عائلة بروتستانتية متواضعة، «توم هو منشق طبقي من نوع خاص» (ص ٥٣٠) لأن المسافة التي تفصله عن أسرته هي مسافة اجتماعية - اقتصادية وثقافية ودينية. وهكذا فإن رفضه للمبادئ الدينية لوالديه يتجلى بوضوح في أحلامه، ولكنه يعبر عنه بمهارة مع القضايا التي أثارها ابتعاده عن البيئة الأسرية نتيجة متابعته للدراسة الجامعية. ومع ذلك، فقد شكل هذا المسار بالنسبة لتوم فضاء متميزاً لتثمين التصرفات المتمردة التي دمجها مع التنشئة الاجتماعية الأولية. ثم تكشف دراسة أحلامه الـ ٣٨ عن تعقيدات اجتماعية وتناقضات وجدانية.

يكشف فحص الحياة الحلمية لهؤلاء «المنشقين الطبقيين» الثلاثة عن نقطة مشتركة صالحة للمقارنة ومثيرة للاهتمام، نعتز عليها في تحليل الكاتب لأحلام سولال (الفصل ٤)، شارلوت (الفصل ٧) وكليمان (الفصل ٨)، هذه العينات الأخيرة لم تختبر حركية اجتماعية بل مخاوف أخرى، وبطريقة أساسية، فإن أنواعاً أخرى من العلاقات الاجتماعية هي التي تحدد أحلامها. تشير العلاقات التي يحتفظون بها، وخاصة مع الوالدين، أسئلة محددة جداً لهؤلاء المستجوبين فيما يتعلق بصراعات المكانة العائلية والوضعية الثقافية التي تحدث لدى المنشقين عن الطبقة. على سبيل المثال، فإن العديد من الأحلام



## الدخل الأساسي والأموال السيادية: بديل الأزمة الاقتصادية وسياسة التقشف جيف كروكر

محمد السالمي \*

يتناقش العديد من الاقتصاديين وصناع القرار حول فعالية النظام الاقتصادي الحالي؛ حيث إن الأزمات والتقشف والديون الحكومية المفرطة والأجور المنخفضة، إضافة إلى الفقر وعدم المساواة تستدعي إعادة التفكير بشكل جذري في هندسة النظام الاقتصادي بحلة جديدة.

هما لب المشكلة. ويجادل كروكر بأن استجابات المصارف المركزية للتعامل مع الأزمة لم تساعد، فقد أدت سياسة التيسير الكمي إلى زيادة عدم المساواة، وزيادة التنظيم المصرفي إلى خنق النمو؛ وقد تسبب التقشف في معاناة كبيرة للناس، وكل ذلك لم يجعل النظام المالي أكثر استقراراً. ويضيف كروكر أنه إذا كانت المشكلة في تخصيص الأزمة، فمن غير المرجح أن تعمل استجابات السياسة.

وعلى غرار أفكار النظرية النقدية الحديثة، يصف المؤلف العجز الحكومي بأنه أمر طبيعي، وليس له أي تأثير سلبي على الناتج المحلي الإجمالي، وأن التقشف هي سياسة خاطئة تتسبب في الكثير من المشقة. ويضيف بأن الكثير من الدين الحكومي هو دائم لأنه لن يتم سداؤه أبداً، ولذلك فهو مشابه في طبيعته للمال السيادي. وفي الواقع، يمكن القول إن إصدار الحكومة لسند دائم بدون فائدة له نفس خصائص الإصدار الحكومي للأموال السيادية (مثل الأوراق النقدية). وفي المقابل، فإن إصدار الحكومة للسندات له جانب سلبي يتمثل في أن السياسيين قلقون بشأن حجم «العجز» والدين الحكومي، والذي لن يحدث إذا تم إصدار أموال سيادية خالية من الديون.

يقترح الكتاب حلاً متمثلاً في الدخل الأساسي الشامل، ويعني تقديم مبلغ ثابت تدفعه الحكومة دون استطلاع الموارد المالية للأفراد، والذي سيعمل بدوره على تعزيز الطلب من خلال منح الناس دخلاً أساسياً دون الحاجة إلى تراكم ديون شخصية عليهم، وهناك العديد من الدول التي اعتمدت هذا التوجه مثل سويسرا، وفنلندا وهولندا.

في شكل مزايا ومعاشات تقاعدية، والاعتماد بشكل متزايد على القروض. كما يجادل كروكر بأن النظام الحالي ليس مستداماً سواء كان ذلك بسبب زيادة الأتمتة (التشغيل الآلي) التي تقلل من الحاجة إلى العمال، أو أن أصحاب الشركات يتمتعون بسلطة أكبر وبالتالي يكونون قادرين على حجب نسب أعلى من أرباح الشركة، والتي بدورها تقلل بشكل كبير من الاستهلاك المحتمل في المستقبل لمعظم الناس.

يوضح المؤلف كيف يتغير الإنفاق الاستهلاكي والدخل والناتج المحلي الإجمالي والديون الأسرية في سياق المملكة المتحدة. وعلى وجه الخصوص، يوضح أن إجمالي الإنفاق الاستهلاكي تجاوز الأجور المدفوعة في عام 1997، وأن ديون المستهلكين تراكمت لتمكينهم من الاستهلاك؛ حيث بلغ إجمالي ديون الأسرة السنوية الجديدة حوالي 166 مليار جنيه إسترليني في المملكة المتحدة في عام 2004. ويؤكد المؤلف أن هذه الديون تغذي عدم المساواة، لأسباب ليس أقلها أن الكثير منها تم تقديمه إلى الأسر ذات الدخل المنخفض بأسعار فائدة ممتازة.

يقدم الكتاب ملخصاً للنظريات الاقتصادية السائدة منذ ثلاثينيات القرن العشرين، من كينز إلى استخدام أسعار الفائدة للسيطرة على التضخم، والذي يتضمن وجهات نظر مثيرة للاهتمام للاقتصاديين الرئيسيين. وبالإشارة للأزمة الاقتصادية في عام 2008، يرى كروكر أن السبب كان يتعلق بالطلب الضئيل للغاية الذي يكمله نمو ضخم في ديون المستهلكين، وهذا الاستنتاج يختلف مع التفسير السائد لدى العديد من الاقتصاديين الذين يرون التنظيم السيئ للقطاع المصرفي والديون

إن أدوات التنظيم والتحفيز التي تعتمد عليها الدول مثل الصرامة في التنظيم المصرفي، وسياسة التيسير الكمي، والتقشف لا تعطي النتائج المرجوة منها. كتاب «الدخل الأساسي والأموال السيادية» لجيف كروكر يشير إلى أن السبب الرئيس لهذا الخلل يتمثل في أن الدخل المكتسب للفرد قد انخفض بشكل كبير مقابل الناتج الاقتصادي؛ مما أدى إلى زيادات هائلة في ديون المستهلكين وهذا بدوره تسبب في الأزمة. لقد سعت الحكومات للحد من هذا العجز في الإنفاق من خلال سياسة التقشف الضارة اجتماعياً. وقد أتى استنتاجه هذا عبر تحليل دقيق للبيانات الاقتصادية طويلة الأجل. ويقول جيف إن الحل الأمثل يتمحور حول الدخل الأساسي الشامل، الممول من الأموال السيادية، والتي تمول أيضاً الإنفاق الحكومي الاجتماعي.

يُعد كتاب جيف كروكر مساهمة محفزة للغاية في مناقشة كيفية تحديد الدخل الأساسي وتمويله. ويفتح الكتاب مناقشة جادة حول دمج الدخل الأساسي الشامل مباشرة لحل الأزمات. وللتعريف بالمؤلف، يملك جيف خبرة تمتد لأكثر من 25 عاماً في الاستراتيجية الصناعية؛ حيث تخصص في التحليل الاستراتيجي لقطاعات الصناعة ذات المحتوى التكنولوجي العالي وأيضاً تطوير الأعمال في مختلف دول العالم.

على مدار الأربعين سنة الماضية، تناقصت كمية السلع والخدمات التي يستطيع العمال شراؤها من أجورهم كنسبة من إجمالي الإنتاج. وبالتالي، يتعين على الغالبية العظمى من العمال الحصول على دخل غير مكتسب لتكملة استهلاكهم الحالي،





قد تكون توصيات كروكر مقنعة للبعض، ولكنها وباعتماد أساسيات الاقتصاد ستؤدي إلى تضخم في الأسعار، إضافة إلى أن تطبيقها في سياق الدول النامية مستبعد نوعاً ما. وهناك حجة أخرى ضد اقتراح كروكر وهي أنه إذا أصدرت الحكومة المزيد من الأموال دون زيادة الضرائب على الشركات أو الأفراد، فإن هذه الأموال ستندفق ببساطة من عامة السكان إلى الشركات على شكل أرباح، وبالتالي سيكون لهذا تأثير في زيادة عدم المساواة. ولهذا، فإن جعل المنح المالية متوقفة على سياق الدخل أو العمر أو الوضع المعيشي يظل بديلاً أفضل. فأول الأمر؛ يعد أرخص بكثير لأنك لست مضطراً لتقديم المال للعديد من الأشخاص الذين لا يحتاجون إليه، كما أن المال المضمون تساوي قيمته أكثر بكثير من الدخل الذي يتم دفعه لبعض الوقت فقط. وكلما زادت الأموال التي نمنحها للناس، كان تأثيرها أكبر على سلوكهم.

على الرغم من الانتقادات والاقتراحات التي عرضها كروكر في كتابه، ستظل المواضيع المطروحة محفزة للتفكير، وتقدم حججاً كبيرة بقصد بناء طرق بديلة لتنظيم اقتصادنا ورفع مستوى الرفاهية. قد لا نوافق على ذلك كله، ولكن تعتبر التشخيصات المقدمة في هذا الكتاب أساسية لفهم المشكلات الاقتصادية التي نعيشها وتحدياً للتفسير التقليدي للأزمة الاقتصادية ومبررات سياسة التقشف. على الرغم من أن الكتاب يثير بعض الجدل فإنه تم تضمينه في قائمة الفايينشال تايمز لعام ٢٠٢١، ويفتح مجالاً واسعاً لمزيد من الدراسات حول الموضوع.

• **الكتاب: الدخل الأساسي والأموال**

• **السيادية: بديل الأزمة الاقتصادية وسياسة التقشف**

• **المؤلف: Geoff Crocker**

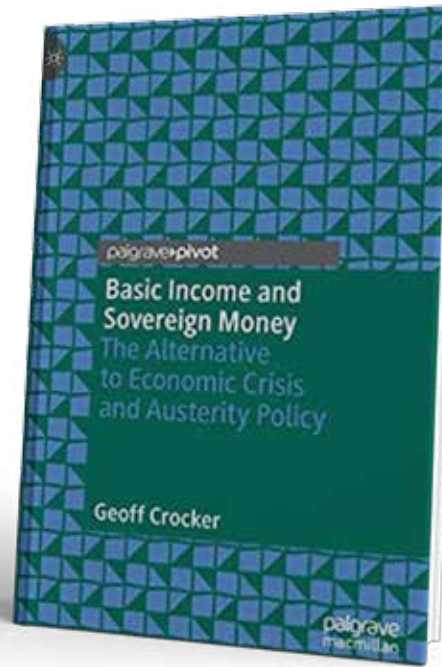
• **الناشر: Palgrave Pivot**

• **سنة النشر: 2021**

• **اللغة: الإنجليزية**

• **عدد الصفحات: 111 صفحة**

\* كاتب عماني



لنتمكنوا من إعادة تأهيل أنفسهم للقيام بوظائف مختلفة. وبالنظر إلى الدخل الأساسي الشامل، فإنه في حال إقراره سيحل محل معظم أو جميع أنظمة الرعاية القديمة التي تقدمها الحكومات، وبالتالي لا ينبغي أن تكون تكلفته باهظة عليها.

في المقابل، وواقعياً، كيف سيستجيب معظم البشر للمال المجاني؟ يرى المعارضون أن اعتماد الدخل الأساسي الشامل يعد دخلاً سهلاً لأفراد المجتمع العاطلين والذين لا يشاركون بالتنمية، في حين سيتعين على البقية من العمال المجتهدين دفع ضرائب مرتفعة بشكل غير مقبول لإعالة هؤلاء؛ أي بالأحرى سيكون مكافأة للكسل. وعلى عكس هذا التصور، في ألمانيا تم تجربة الدخل الأساسي الشامل على شريحة كبيرة من الناس، وتشير النتائج، أنه على الرغم من المخاوف من ميل الناس إلى الكسل بسبب هذه السياسة، إلا أن لها أثراً صغيراً إيجابياً في تولي المشاركين للوظائف وكذلك في تعزيز الصحة العقلية. ويرى البعض أن هذه التجربة والدراسات المماثلة، لا تندرج فعلاً تحت بند الدخل الأساسي الشامل؛ لأنها قصيرة المدى. هذه المدفوعات تستمر فقط لسنة أو سنتين، وانعدام الاستمرارية يغيّر بشكل أساسي الطريقة التي يستجيب بها الناس؛ حيث تستند معظم القرارات المالية، والقرارات الأخرى المتعلقة بالعمل، إلى التوقعات الخاصة بالدخل مدى الحياة، وليس على أساس دفع النقد الإضافي لفترة قصيرة.

يتميز نظام الدخل الأساسي الشامل بالعديد من المزايا، كونه يهدف إلى منع وجود تواجد أسر تحت خط الفقر، وبإمكانه جعل الجميع يعيش على مستوى قاعدي من الدخل المؤمن. بالإضافة إلى ذلك، فإن الدخل الأساسي الشامل هو أقل تكلفة إدارية مقارنة بأي نظام رعاية اجتماعية؛ لأنه يحتوي على معدل قبول تلقائي، مقارنة بمزايا الرعاية الاجتماعية الحالية. والأهم من ذلك أن الدخل الأساسي يحافظ على استمراريته ولا ينلغي بحجة الحصول على وظيفة أو البطالة فهو شامل وغير مشروط لجميع المواطنين.

وكما هو معلوم فإن الدخل الأساسي الشامل يتم تمويله بخليط من المصادر مثل زيادة الضرائب أو التخفيض في مجالات أخرى من الإنفاق الحكومي، بما في ذلك تقليل أو إلغاء مزايا الرعاية الاجتماعية الحالية. ولكن يوضح كروكر أيضاً أنه سيكون من الصعب تمويل الدخل الأساسي من هذه المصادر بحيث سيكون إما صغيراً جداً ولا يكون ذا مغزى، أو مرتفعاً جداً ولا يمكن تحمله. وبالتالي، هناك حاجة إلى مفهوم تمويل أكثر شمولية لتحقيق الدخل الأساسي الشامل للحد من عدم المساواة.

في الوقت الحاضر، يتم تمويل الإنفاق الحكومي وإنشاء الأموال عن طريق بيع السندات الحكومية بفائدة. يؤدي هذا إلى تراكم الدين العام، والذي يساوي أو يزيد عن الناتج المحلي الإجمالي السنوي في العديد من الاقتصاديات، وبالتالي لا يمكن سداؤه في الواقع. ومع ذلك، فإن تكلفة الفائدة على هذا الدين كبيرة، حيث تصل إلى ٣٩ مليار جنيه إسترليني سنوياً في المملكة المتحدة. ولذلك فإن الفرضية الدقيقة هي أن الاقتصادات المتقدمة تتطلب درجة معينة من الدخل الأساسي الشامل الممول من الأموال السيادية. على هذا النحو، سيتم تمويل الدخل الأساسي الشامل بالضرورة من أموال سيادية ذات فوائد صفرية. هناك العديد من المناصرين لمقترح الدخل الأساسي الشامل، حيث يرون أن هناك العديد من الإيجابيات تتمثل بمساهمته في خفض معدلات الفقر، والحفاظ على كرامة الناس بصورة أكبر، كما أنه من شأنه تيسير عملية التحول المهني بالنسبة إلى العمال الذين فقدوا وظائفهم نتيجة التطور التكنولوجي؛



## مدخل إلى نظريات التعليم ماركوس ريغر- ليدش

رضوان ضاوي \*

يُشير مصطلح النظرية التربوية إلى مجال حيوي يهتم به خبراء من تخصصات مختلفة، لأن هذا الحقل العلمي لم يعد مقتصرًا على تخصص معين، بل تجاوز حدود الفروع والتخصصات العلمية، مما ساهم في فتح الباب على مصراعيه أمام ظهور وانتشار نظريات جديدة، وتثبيت أسسها، وتنزيلها من برجها العالي إلى ميدان التطبيق والممارسة.

كان محفزًا ما قام به شلايرماخر في نظرية السلوك الاجتماعي باعتبارها برنامجًا نظريًا تعليميًا مبكرًا، وتفكيره في المشاركة في ثقافة الصالون النابضة بالحياة في برلين من حيث تاريخ الأفكار، وفهم نمط تفاعل جديد ومهم بين الخاصة والعامة من أجل الإعداد بعناية لأهميتها للخطاب التربوي.

وحسب المبدأ التوجيهي للنظرية التعليمية القائل: «إن الفرد المتفوق هو ذلك الفرد الذي تلقى تنشئة اجتماعية جيدة»، يبرر المؤلف ريغر أهمية التعليم الذي يتجاوز نطاق الفرد وجعل هذا المبدأ أساسياً وضرورياً في النظرية التعليمية الأصلية التي تتجاوز المفهوم العام. وكان شلايرماخر قد أدرك هذا المفهوم، وكذلك لم ديوبن إليه حين طوّر الرابط بين الديمقراطية والتعليم كنقد للثقافة التربوية العتيقة.

ويناقش هذا الكتاب في الفصل الرابع هذه النظريات التعليمية ابتداءً من أوائل القرن العشرين مع جون ديوي، وتعرض الفصول الأربعة الأخرى (الفصل الخامس إلى الفصل السابع) لآراء منظرين من النصف الثاني من القرن الماضي مثل: ماكس هوركهايمر، وثيودور و. أدورنو، وهابنيز-يوأخيم هايدورن، وبيير بورديو، وممثلي الدراسات الثقافية، وجاك رانسبير، وجياتري شاكراפורتي سبيفاك، وميشيل فوكو، وجوديث بتلر. وقد كرس المؤلف الفصل الرابع لجون ديوي، الذي يتم تقديمه كناقد لأفكار تعليمية إنسانية جديدة وكممثل لكل من التربية العملية والديمقراطية. ونظراً لأن اعتبارات ديوي التربوية تهدف إلى زيادة تطوير المجتمع الحقيقي، فقد تم استقبالها غالباً في البلدان الناطقة بالألمانية على أمل الابتعاد عن الإنسانية الجديدة أو الحداثة وإيجاد بداية جديدة لشكل مختلف من النظرية التربوية. ومع ذلك، يؤكد ريغر على عدم كفاية دراسة ديوي للواقع الاجتماعي في عصره، فعلى الرغم من أن ديوي قد مثّل بشكل مثير للإعجاب فكرة وجود مجتمع ديمقراطي كبير، إلا أن من المدهش أنه لم يقل شيئاً عن العنصرية الحقيقية ضد الأمريكيين الأفارقة في الولايات المتحدة.

ويبدو أن ريغر ليدش متحمس فقط لتلك النظريات التعليمية ديوي التي يمكن وصفها بأنها «نقدية». لهذا يبدأ الفصل الخامس بمسودات مختلفة لنظرية تعليمية نقدية باللغة الألمانية، حيث يشير المؤلف إلى اثنين من أبرز ممثلي النظرية التعليمية النقدية: وهما ماكس هوركهايمر وثيودور دبليو أدورنو، والتروي هابنيز يواكيم هايدورن.

أما الفصل السادس فيركز على النظريات النقدية من البلدان

السبعة الرئيسية من الكتاب، ابتداءً من أفلاطون إلى جوديث بتلر، مطوّراً بذلك وجهة نظر تعليمية وتقييمية بخصوص وظيفة التعليم ونظرياته، فقدم الكاتب المؤلفين المهمين للنظريات التعليمية من أكثر من ألفي عام ترتيباً زمنياً. وبين في المقدمة المفصلة التي شكلت الفصل الأول، والخاتمة التي شكلت الفصل التاسع والأخير، قدّم لنا المؤلف النظريات التعليمية والتربوية المختارة في سبعة فصول مرتبة ترتيباً زمنياً وتغطي فترة تمتد من اليونان العتيقة إلى الزمن الراهن مع تركيز شديد على القرن العشرين الذي تناوله المؤلف في خمسة فصول متتابعة، بينما تناول النظريات التي ظهرت قبل هذه الفترة في فصلين فقط. بالتالي شملت الفصول السبعة العصور القديمة وممثلين للنظريات التعليمية من العصور الوسطى وعصر النهضة وأوائل العصر الحديث، مثل أفلاطون، والعلم إيكهارت، وجيوفاني بيكو ديلا ميراندولا وميشيل دي مونتين.

ويبدأ الفصل الثاني بتأملات أفلاطون ورمزه عن الكهف، ثم تلاه نقاش مع المعلم إيكهارت «مؤسس خطاب التربية». كما يتناول هذا الفصل بيكو ديلا ميراندولا وعمله «في كرامة الإنسان»، بالإضافة إلى ميشيل دي مونتين، ومقالات في النظرية التربوية.

بينما درس المؤلف في الفصل الثالث مواقف فيلهلم فون هومبولدت وفريدريك شلايرماخر من النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث انتقل في هذا الفصل من بداية عصر النهضة مع مونتين، إلى النزعة الإنسانية الجديدة و«المؤسسون» (المفترضون) للنظرية التربوية. ومن أجل مواجهة التبدلات السائدة في كثير من الأحيان لهؤلاء المنظرين التربويين، يؤكد ريغر ليدش على أنهم كانوا «جزءاً من شبكة فكرية متعددة الأصوات وواسعة النطاق» وليسوا مجرد مفكرين رئيسيين منعزلين. هذا الاعتبار النقدي الأولي مثير للاهتمام، فيقدر ماركوس هومبولت بالأساس على تعليم الفرد، وسّع شلايرماخر أشكالاً معينة من التواصل الاجتماعي وأتاح فرصاً تعليمية. وتعتبر ثقافة الصالون التي كانت متطورة في ذلك الوقت نموذجاً أولياً للتواصل الاجتماعي، لأن عوالم مختلفة من الخبرة يمكن أن تلتقي فيها بطريقة محفزة.

ويسلط ريغر ليدش الضوء على متطلبات النظرية التربوية من خلال الفصل الخاص بشلاير ماخر، فبعد أن تعامل ريغر بالفعل مع الدراسات اللغوية لفيلهلم هامبولدت في تصوراته وعمله على العنصر الحوارية للتعليم، قرأ شلايرماخر على خلفية الأشكال الجديدة للعيش المشترك، كما كان سائداً في نظريات أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. وقد أوضح المؤلف كم

وعلى هذا الأساس قام المؤلف ماركوس ريغر- ليدش في بداية هذا الكتاب «مدخل إلى نظريات التعليم» بمناقشة نظريات أفلاطون ومونتين وهامبولدت وشلايرماخر. وركز المؤلف الألماني على المسودات النظرية التعليمية كي تكون باعثاً له للتعامل مع تلك الآراء التربوية التي وردت في القرن العشرين، بعد أن أكد الكاتب على أهمية تصوّرات هؤلاء العلماء في تطوير مفهوم معاصر للتعليم.

ويبدو أن النظريات والأبحاث التي تم تناولها في هذا الكتاب تعتبر من كلاسسيكات العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية والثقافية، لهذا أظهر المؤلف ريغر اقتناعه بهذه الأبحاث، ليس فقط من حيث المحتوى، ولكن أيضاً، من الناحية اللغوية، وهو ما يجعل من هذا الكتاب مؤلفاً موجهاً للمتخصصين، وكتاباً تدريسياً عامّاً موجهاً للطلبة والمبتدئين، ويستطيع الأساتذة المكونون في المدارس العليا لتكوين الأساتذة والمراكز الجهوية لمهن التربية والتعليم وتكوين المعلمين استعماله كمنهاج أساسي أو مكمل عام لبرنامج التكوين. ورغم أن مصطلح «التعليم» يشكل مادة أساسية في كل القواميس والمعاجم، وفي الكثير من محركات البحث على الإنترنت، أي أنه يُستخدم في كل مكان بشكل عشوائي، فإنه يظل مفهوماً يتجاوز التعريفات التقليدية.

يعرض هذا الكتاب النظريات التعليمية، ويقدم أهم المنظرين التربويين بشكل يدعو إلى التفكير النقدي في التعليم، وقد ألقه ماركوس ريغر ليدش، مدير معهد العلوم التربوية بجامعة توبنغن، ومحرر المجلة الفصلية للتربية العلمية وعضو في كلية الدراسات العليا. ويبدو أن الباحث ليدش مدرك للمطبات التي تحصل لكل باحث في النظريات التعليمية، ويدل على هذا سؤاله الوارد في كتابه: «كيف تبدأ؟». فكان أن دعا إلى مناقشة منهجية تكشف عن الغموض وعدم الدقة المفاهيمية التي تجعل استحضار الأزمات واستشراف المستقبل مرتبطة بمشاكل كبيرة، باعتبار التعليم يرمز لعمليات التحرر الاجتماعي والفردية من القيود الثقافية والفكرية. وبالتالي فإن الغموض وعدم الوضوح هما نقطة بداية واستمرار النظرية التربوية. وعلى سبيل المثال يذكر المؤلف الباحث يورغن إيكارت بليننس الذي ألف في «نظريات التعليم»، ونشر مقالات مهمة ونصوصاً تنتمي إلى سياق علم أصول التدريس باللغة الألمانية والفلسفة التربوية وعلم الاجتماع التربوي، وجادل في مصطلح «التعليم» وفي النظريات التربوية بوضوح، ولكن ليس بالعمق المطلوب في مثل هذا الموضوع، كما يقول المؤلف.

ويقدم ريغر هذه النظريات التعليمية على نحو مختلف في الفصول



علناً في مجموعة متنوعة من السياقات، إلا أنه يظل أحياناً غير واضح إلى حد كبير ما هو المقصود بالتعليم في كل حالة. وهذا يفسر أيضاً المحاولات التي لا حصر لها، في الماضي والحاضر، «لتحديد ما نسميه التعليم». كذلك يمكن استنتاج ما يتم تناوله عند الحديث عن التعليم من خلال النقاشات العامة حوله، فلا يكفي أن يتخصص المرء في فرع علمي واحد كي يستطيع توضيح مفهوم التعليم. وبالإضافة إلى العلوم التربوية، هناك عدد من التخصصات الأخرى - بما في ذلك الفلسفة والتاريخ واللاهوت وعلم الاجتماع والدراسات الألمانية - قدمت مساهمات مهمة في تحديد مفهوم التعليم. في المقابل، فإن اختيار ريغر-لديش للنظريات التربوية، التي «يجب أن تلتقط شيئاً ما من الطبيعة متعددة الأوجه للخطاب التربوي»، تتخطى اللغة الوطنية وكذلك الحدود التأديبية. إن موضوع هذا الكتاب هو النظريات التربوية بالمعنى الواسع. ويبدو هذا التركيز مشروعاً إذا أضحنا أن هذا الكتاب يجذب جمهوراً واسعاً من القراء، خاصة وأن المؤلف تناول بالعرض والشرح كلاسيكيات متعددة في تخصص العلوم الإنسانية، والدراسات الاجتماعية والثقافية، كما أن المؤلف حاول إضاءة مسألة أن الخبراء لم يحددوا فهماً للتعليم موحدًا، بل افترضوا تعدد المفاهيم التربوية غير المتجانسة في السياقات المختلفة في كثير من الأحيان. وقد أوضح المؤلف أن نظرية ما بعد الاستعمار أهمية كبيرة في الفهم المعاصر للتعليم، على الأقل بالنسبة للمنطقة الناطقة بالألمانية.

بعد هذا تطوراً مبتكراً لا ينبغي الاستهانة به، لأنه يشير إلى فتح الخطاب التعليمي في اتجاه الجنوب العالمي. إذا أخذ المرء في الاعتبار اختيار نظريات التعليم الأولى - من أفلاطون إلى جوديث بتلر - على خلفية المناقشات الحالية حول إنهاء الاستعمار المعرفي، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما إذا كان هذا لا يغذي مرة أخرى سرداً أوروبياً يقترح التفوق المعرفي، فحين ندقق على ضوء هذا الاختيار، يبدو أن المساهمات الأساسية في خطاب النظرية التربوية قد تم تقديمها في المنطقة الغربية الأوروبية أو الغربية فقط، مما يعطي أيضاً سبباً للتفكير النقدي.

لا شك أن خبرة المؤلف في المجال التربوي الألماني-الناطق باللغة الألمانية، واحتكاكه بالمنظرين التربويين وتعاملهم معهم، جعله يتوصل إلى مثل هذه النتائج المهمة، علماً أن الأمر يتعلق أساساً بالتفكير النقدي ضمن الجماعة. بالتالي هذا العرض هو تقديم وجهة نظر الكاتب، وموقفه وتجربته التفاعلية في مجال النظريات التعليمية، الأمر الذي تؤكد توصية المتخصصين بإدراج هذا المدخل في مناهج الطلاب من مختلف التخصصات والضرع العلمية.

## الكتاب: مدخل إلى نظريات التعليم.

المؤلف: ماركوس ريغر-لديش

الناشر: يونيوس، هامبورغ، ألمانيا

عدد الصفحات: 230

اللغة: الألمانية

## \* باحث في الأدب المقارن ومترجم/

الرباط، المغرب



المؤلف يتحدث الآن صراحة عن رواد «خطاب النظرية التربوية»، من خلال الذاكرة التأديبية، وعن تخصص يسمى النظرية التربوية. وعلى الرغم من التأكيد أيضاً في هذه المرحلة على أن الخطاب النظري التربوي يتغذى من مساهمات من مجموعة واسعة من التخصصات العلمية، فإنه يبدو أن مهمة النظرية التربوية التأديبية أن يؤخذ ذلك في الاعتبار من أجل تطوير الأفكار المعاصرة والسياقية للتعليم والتحليل والتنظيم والمقارنة، وأخيراً بالطبع من أجل المناقشة والنقد. وهذا الكتاب يشغل بفهمين مختلفين للنظرية التربوية: تشير النظريات التعليمية إلى تلك المساهمات التاريخية إلى حد ما والتي هي محور التركيز ويتم تناولها في الفصول من الثاني إلى الثامن. يمكن أيضاً وصف مفاهيم النظرية التربوية الحالية، والتي تم تناولها فقط في الفصل الأخير، بأنها نظريات تربوية.

يمكن تلخيص تصورات ريغر التربوية في جمعه بين مختلف النظريات، مما يحفز أنماط التفكير العالقة، فقد انتهج منهج التفكير في تكوين الذاتية، أي الذاتية المتعلمة، تجعله يتجاوز الذاتية نفسها، ما يؤدي إلى تطوير النظرية. ولذا يعتقد المؤلف أن الجمع بين مختلف النظريات في سياق نظرية الهدف تقدم وجهات نظر كاشفة حول أهمية التعليم وعلاقته بالفرد.

إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا مكرس لموضوع النظريات التربوية، وهو مدخل إلى النظريات التربوية، ويمكن أن يكون أيضاً صالحاً للمبتدئين في هذا المجال. وسيكون من المفيد أيضاً أن نسأل عن مقدار ما تتطلبه النظرية التربوية من نظرية. وإذا كان العديد من المؤلفين الذين تمت مناقشتهم لا يجعلون التعليم موضوعاً صريحاً، ولكن ضمنياً فقط، فإن المؤلف يدعو إلى تحقيق نظام تعليمي يستجيب لتطلعات الأجيال ويؤسس لمسؤولية اجتماعية شاملة تحثي بالأهداف المكشوفة للإنسان. ولكن ربما يكون عدم وجود تعريف تمهيدي لـ «التعليم» هو بالضبط ما يجعل قراءة هذا الكتاب مهمة جداً.

وقد حذر المؤلف أنه ليس من السهل تحديد موضوع الكتاب بدقة، ويعزى ذلك وفقاً للمقدمة، إلى أنه على الرغم من مناقشة التعليم

الناطق بالفرنسية والإنجليزية مع بيير بورديو وممثلين مختلفين للدراسات الثقافية، فدرس النظريات التي تتعامل مع المؤسسات التعليمية وتساهم في إعادة إنتاج عدم المساواة الاجتماعية. في حين تمكن بورديو من توضيح كيف يرتبط تكوين الذوق بعمليات التمييز الاجتماعي، خاصة وأن الدراسات الثقافية تشير إلى الممارسات الثقافية المقاومة والعمليات التعليمية التي تكافح بها الفئات الاجتماعية المحرومة من أجل توسيع نطاق عملها الخاص.

وإذا كان جاك رانسيير قد قام بتصنيف النظرية التربوية، فإن لديش ركز في الفصل السابع على شعوره بالعمليات التعليمية التي تتجاوز التعليم الرسمي، مما جعل النظرية التربوية خصبة بفضل نمط جديد من التفكير الفلسفي الذي يقضي بتجنب النقد الإيديولوجي. كما يركز الفصل السابع على عمليات التحرر للفئات المحرومة. ومع ذلك، فإن دراسة كتابات جاك رانسيير وجياتري تشاكرافورتى سبباً تظهر أن مثل هذه التحرر أو العمليات التعليمية لا يمكن أن تنوب عن المعلمين أو المتقنين أو الفئات الاجتماعية المتميزة في شمال العالم. في حين أن رانسيير يدعو إلى الاعتراف بالمساواة الفكرية «للبروليتاريا والعمال غير المستقرين في بلدان شمال الكرة الأرضية» مع المتميزين في شمال العالم، وتؤكد سبباً أن وجود أطفال فقراء الريف في جنوب الكرة الأرضية دليل على أننا نحن أنفسنا ننتمي إلى الهياكل الاستعمارية (الجديدة).

ومع ميشيل فوكو وجوديث بتلر في الفصل الثامن، يمكن لريغر-لديش التأكيد مرة أخرى على وجهة نظره حول التعليم بناءً على ثلاثة عناصر: التخصص، والتنشئة الاجتماعية والإدراك الثقافي، حيث يُنظر إلى التعليم على أنه حدث معقد ومختلط يشارك فيه فاعلون متنوعون، وهذا يشمل بالتأكيد الجماعة والأفراد، ولكن أيضاً المنظمات والمؤسسات وكذلك الترتيبات التقنية والذكريات والقوانين الرمزية. وتساهم الإشارة إلى فوكو وبتلر إلى إمكانية فهم التعليم كشكل من أشكال التخصص، والذي يمكن أيضاً البحث عنه وتتبعه تجريبياً، مع التشديد على أن إعادة الصياغة التي يقوم بها المؤلف هنا للنظريات التربوية تقدم منظوراً جديداً لظاهرة التعليم. ووفقاً للمؤلف، يرتبط التعليم بالتوتر الذي يمكن تحديده باستخدام مصطلحات «النشاط / السلبية» و «الحدث / الهيكل» و «الفردية / الجماعية». ويوصي المؤلف باحترام هذه الازدواجية في المفاهيم، فلا يمكن التوصية بالنظرية التربوية للمستقبل إلا إذا كانت تربط بين أقطاب مزدوجة لهذه المصطلحات وتسمح بالتفكير في قوى متضاربة في نفس الوقت. وتحققاً لهذه الغاية، يجب تطوير أساليب بحث جديدة، كان قد تم التفاوض عنها في المصادر حتى الآن، وفي العمليات التعليمية، والبحث تجريبياً فيها.

وفي الفصل التاسع والأخير؛ أي في الخاتمة، يستشهد لديش بثلاثة تحديات تعتبر بالنسبة له «مسودات لنظريات تربوية معاصرة». يتعلق الأمر بالعلاقة بين النشاط والسلبية، وبين الحدث والبنية وكذلك بين الفردية والجماعية. ثم يشير إلى ثلاثة أنماط بحثية جديدة يستجيب بها «مثلو النظرية التربوية» الحاليون للتحديات التي نوقشت أعلاه: البحث التربوي العملي، والنظرية التربوية التحويلية والمستوحاة من العلوم الثقافية.

إن هذا الفصل الأخير مهم لفهم موضوع الكتاب بأكمله، حيث إن



## حوادث تاريخية صحت مسار كيرالا فيلايودهان بانيكاشير

### فيلابولراتو عبد الكبير \*

المستثمر الأسطوري راي داليو، مؤلف «أفضل المبادئ» الأكثر مبيعاً في نيويورك تايمز، الذي أمضى نصف قرن في دراسة الاقتصادات والأسواق العالمية، يدرس في كتابه الجديد «مبادئ التعامل مع النظام العالمي المتغير» أكثر الفترات الاقتصادية والسياسية اضطراباً في التاريخ، للكشف عن سبب هذه الأوقات.

أراضيهم الزراعية باسم البراهمة، الطبقة العليا، وباسم المعابد لتفادي هذا العبء، ولم يشعروا أنهم بهذا الإجراء فقدوا ملكية أراضيهم أبد الأبد، فأصبح الفلاحون فيما بعد عبدة لهذه الطبقة الذين استولوا على سكان كيرالا الأوائل المعروفين بـ«درافيدا».

المسيحية هي ثالث الديانات عدداً في كيرالا. وهم يمثلون ١٨٪ من السكان وفقاً للإحصائيات الأخيرة. عموماً يُعتقد أن المسيحية وصلت في كيرالا أولاً عام ٥٢ ميلادي بقدم القديس «طوماس شليها»، أحد رسل المسيح يسوع. ولكن يشك في صحة هذه الرواية بعض المؤرخين حيث يؤكدون عدم وجود وثائق تاريخية كافية تؤيدها. هناك عدة فرق بينهم مثل مار طوما، والرومانية الكاثوليكية، والبروتستانتية، والسورانية، والكاثوليكية اللاتينية، والكنيسة الإنجليزية البروتستانتية، حوالي ١٢٪ من سكان كيرالا أو حوالي ٤ ملايين نسمة هم من أتباع مار طوما والنسبة الباقية ٦٪ هم من مجموعات عرقية أخرى، والغالبية منهم من أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. عدد المسيحيين في كيرالا يتجاوز عددهم المجمع في الهند. أتباع القديس طوماس هم أنفسهم المسيحيون السوريون، وهم ينتمون إلى كنيسة مالانكارا. لا علاقة للمصطلح «السوري» بقرعهم إنما يسمون كذلك بسبب صلتهم التاريخية والدينية والليتورجية بالمسيحية السريانية. بالرغم من كون لغتهم الأم التي ينطقون بها هي مالايالام فإنهم يستخدمون اللغة السريانية كلغة ليتورجية بشكل يومي في القداس الإلهي وعدد من العبادات الأخرى. تنقسم طائفة مار طوما على خمس طوائف، كنيسة مالانكارا، وكنيسة المشرق الكلدانية السريانية، واليعقوبية، والكنيسة السريانية الملبارية الكاثوليكية، والكنيسة السريانية الملبارية المستقلة. وقد تأثرت ثقافة مسيحية مار طوما بالعبادات الاجتماعية الخاصة بجيرانهم الهندوس كالطقوس المتعلقة بالولادة والزواج والحمل والموت. يوجد فيهم التسلسل الهرمي الطبقي أيضاً مثل ما يوجد في الهندوس.

وفي الفصل الثاني يذهب بنا المؤلف إلى وقائع حاسمة تتعلق بتاريخ المجتمع المسيحي في كيرالا. ومن هذه الوقائع الحلف بالصليب الأحدث الذي قام به المسيحيون السوريون الذين ينتمون إلى كنيسة مالانكارا للدفاع عن استقلاليتهم في التقاليد والطقوس الدينية على خلفية محاولة كنيسة الروم لتوحيد

الذي يليه برئاسة جوهر لال نهرو في مدينة «بايانور». وأخيراً نجح الشعب في تحقيق حلمهم بطريقة سلمية. قبل التوصل إلى هذه النقطة ثمة معالم هامة من الأحداث التي تجاوزتها هذه الولاية يحكيها المؤلف واحدة تلو أخرى في فصول قصيرة. وفي اللغة المالايالامية يوجد عدد من الكتب التي تبحث عن تاريخ كيرالا الماضي، منها «الفصول الحالكة من تاريخ كيرالا» لـ «شوراناو كونجان بيلا» و«كيرالا الوطن الأم للمالاياليين» لـ «اي. أم. أس. نامبوتيري» مثلاً لا حصراً. بيد أن هذا الكتاب يحاول فيه المؤلف أن يجمع معلومات تاريخية بشكل موجز بحيث يستفيد منها عامة القراء. رغم أن طبيعة الكتاب ليست بحثية إلا أن المؤلف قد راعى تدويله بمراجع الكتب والمصادر. والمؤلف «فيلايودهان بانيكاشيري» كاتب معروف وله باع طويل في تاريخ كيرالا كما له عشرات من الكتب في هذا الموضوع. ومن كتبه «هند الإديسي» و«كيرالا التي رآها ابن بطوطة» والهند التي رآها ابن بطوطة.

يبدأ الكتاب بإلقاء الضوء على كتب الأدب القديمة المعروفة باسم «كتب سنجها». وهي «باتيتي باتو» و«أكا نانور» و«بورنا نانور» و«تشيلاباتيكارام» و«ماني ميجهاي». وكتاب «أكا نانور» مصدر غني بمعلومات جمة عن أحوال كيرالا القديمة. تشير هذه الوثائق إلى وجود ثلاث سلاسل من الملوك قديماً في كيرالا، في أقصى الجنوب مملكة «أي» التي تمتد من «ناجار كوفيل» إلى «تيروفالا». وفي الوسط مملكة «تشيرا» التي تتضمن «كوتاناو» و«كودا نادو» ومنطقة «جبل أيزي» التي تشمل شمال الملبار، بالإضافة إلى «كاسر جود». ومع هذه الممالك الواسعة كان هناك ملوك صغار يحكمون المناطق الجبلية والقرى الصغيرة. يقول المؤلف إن في تلك الحقبة كانت الغلبة في كيرالا للديانتين البوذية والجينية، الطبقات الموجودة كانت موزعة على الأشغال ليست على الولادة العنصرية. إنما تم تقسيم المجتمع طبقات عليا وأخرى سفلى بعد مجيء البراهمة الذين يتمتعون بنفوذ على الإقطاعيين في المجتمع فبدلوا المعابد البوذية والجينية التي تسمى «فيهارا» إلى المعابد الهندوسية التي تسمى «كشيترا». كانت الزراعة هي المورد الرئيسي، وكانت توجد أراض واسعة قابلة للزراعة. الإقطاعيون والملوك كانوا يجمعون من الفلاحين خمسا من الحصاد كضريبة زراعية. كان تستثنى من هذا العبء البراهمة والمعابد الهندوسية؛ فسجل الفلاحون

ولاية كيرالا من الولايات الحديثة التي تشكلت بعد استقلال البلاد من الاستعمار البريطاني. هذه المنطقة بالرغم من كون لغة أهلها لغة واحدة تسمى «مالايالام» كانت في غابر الزمان مقسمة على ثلاث مناطق، «تيرفيتانكور» و«كوشين» و«مليبار». كانت تيروفيتانكور وكوشين اللتان تقعان في الجنوب سلطنتين صغيرتين يحكمهما ملكان. أما منطقة ملبار التي كانت تحت عدد من الملوك الصغار مثل «ساموتيري» في «كوزيكود» و«كولتيري» في شمال «مليبار» و«آدي راجا» الملك المسلم في «كانور» أصبحت جزءاً من ولاية مدراس (حالياً تاميل نادو) تحت الحكم البريطاني بعد أن كان بعضها فترة تحت سيطرة سلطان «ميسور» «تيبو». وعند استقلال البلاد وبعد اتخاذ القرار لتشكيل الولايات من جديد على أساس اللغات الناطقة فيها تم دمج جميع هذه المناطق لكي تصبح ولاية واحدة باسم كيرالا عام ١٩٥٦ وانضمت إليها منطقة «كاسر جود» أيضاً التي كانت تنضم إلى كارياناكا. إبان استقلال البلاد كان البريطانيون قد أعلنوا أن السلطنات الصغيرة المبعثرة في أنحاء الهند لها الخيار في بقائها مستقلة أو الاندماج مع الهند المتحدة. فاختارت «تيروفيتانكور» أن تستمر بنظامها الملكي، ولكن حزب المؤتمر والحزب الشيوعي والمنظمات الشعبية في تلك البلدة ثارت على هذا القرار وعمت احتجاجات عارمة طول وعرض المنطقة مما اضطر الحاكم ونائب الملك «سير راماسوامي آيار» الداهية لمغادرة البلاد حتى أعلن ملكها استعداده لاندماج مملكته مع الهند. أما «كوشين» فكانت قد اختارت الاندماج مع الهند في حينه. كخطوة أولى إلى الاندماج مع الهند تم الاندماج بين هاتين المنطقتين عام ١٩٤٩ فأصبحتا ولاية واحدة باسم تيرو-كوشين باختيار ملك تيروفيتانكور رئيساً لها. أما اندماج تلك المنطقتين مع «المليبار» فقد ظل سبع سنوات حتى أتت ولاية كيرالا المتحدة في حيز الوجود، وكان ذلك عام ١٩٥٦. ولكن فكرة تشكيل الولاية المتحدة كانت جذورها تعود إلى عام ١٩٢٨. السياسيون والكتاب والنشطاء في مجال الثقافة كانوا يطالبون باستمرار لتحقيق حلم تشكيل ولاية تنضم إليها جميع المناطق التي يتكلم أهلها لغة «مالايالام»؛ فاتخذ أكبر حشد من صغار الممالك الذي انعقد في أبريل ١٩٢٨ في مدينة «ايرانا كولام» قراراً يطالب فيه تشكيل ولاية جديدة. وأيد القرار المؤتمر الكبير الذي انعقد في الشهر



بعدد ١١٢٨ شكلا. وبدأت الطباعة المالايالامية في كيرالا أول مرة في مطابع أنشأتها جمعية تبشير كنيسة في كوتايام عام ١٨٢١، وكان في مقدمتها بينجامين بيلى الذي يُعدُّ أبا الطباعة في كيرالا. ثم تطورت الطباعة في الولاية بسرعة حتى تأسست عدة مطابع في أنحاءها المختلفة. الجريدة الأولى والثانية «راجيا سماتشارام»، (أخبار الوطن) و«باتشيموديام» (الطلوع الغربي) باللغة المحلية طُبعتا على التوالي بمطبعة قام بتأسيسها الأب التبشيري «غونتارت» الألماني في «إيليكونو» قرب المدينة «تاليشيري» عام ١٨٤٧. كان الهدف الرئيسي منهما نشر الديانة المسيحية. وهاتان الجريدتان والجرائد والمجلات التي تلتها كلها كانت تحت إشراف النصرانية البروتستانتية غريمة المسيحية الكاثوليكية، وخلافا لهذه الجرائد جاءت جرائد ومجلات أخرى من قبل الكاثوليكية بعد حادثة «حلف الصليب الأهدب» المذكور، منها «كيرالا سانديشا» (١٨٦٧) و«كيرالا باتريكا» (١٨٧٠) و«كيرالا أياكارى» (١٨٧٤) وغيرها. ومن أقدم الجرائد المسيحية في كيرالا «ديبيكا النصرى» (مصباح النصرى) التي صدرت عام ١٨٨٧. وهي لا تزال موجودة حتى الآن ولكن تم حذف الكلمة «النصرى» منها فيما بعد. وجريدة «مالايالا مانوراما» التي أنشأها «كانداتيل فارغيس مابيللا» عام ١٨٨٨ أيضا لا تزال قيد الحياة حتى الآن.

الرق ظاهرة قديمة عمت العالم كله. لم تستثن منها كيرالا أيضا في الماضي. يقول المؤلف إنه لا توجد وثائق تحدد بداية تاريخ الرق في كيرالا. وفي مرسوم «تريسابالي» الصادر عام ٨٩٤ نرى أوامر لعدم إرغام ضريبة الرق على المسيحيين. كانت هناك أربعة أنواع من الرق في كيرالا. رَق بالولادة ورَق بنتيجة عقوبة على الجرائم ورق يترتب عليه بالعجز عن أداء القروض ورق بالشراء. تم حظر هذا النظام على مراحل، وأخيرا في عام ١٨٥٥ نتيجة المطالبات المتكررة من الإرسالات التبشيرية أصدر الملك «أوتردام تيرو نال» مرسوما يمنح نظام الرق بتاتا. ومن غرائب كيرالا عوائق كانت تمنع بعض طوائف الهندوس دخول المعابد والمشي على الشوارع العامة. وقد خصص المؤلف فصلين لشرح نجاح الكفاح الذي جرى خلاف هذه العوائق كما خصص فصلا لشرح تمرد المسلمين على الاستعمار البريطاني، المعروف باسم «مابيللا سامارام» وحركة الخلافة. كان ذلك عام ١٩٢١، تحتفل الولاية الآن بمتوية هذا الحدث. وهكذا يصل الكاتب عبر هذه الحوادث التاريخية إلى آخر الفصل المتعلق بتشكيل كيرالا المتحد الذي سبق بيانه في بداية هذا العرض.

## • الكتاب: حوادث تاريخية صححت مسار

### كيرالا

## • المؤلف: فيلايودهان بانيكاشيري،

## اللغة: مالايالام، عدد الصفحات: 144

## • سنة النشر: 2020، الناشر: DC Books،

## كوتايام، كيرالا، الهند

## \* مستعرب هندي



المشي في الطريق أمام معبد «فايكام»، ونضال العمال الفلاحين في منطقة «يونابرا»، و«فايلا»، وحكاية العريض المقدم لملك «تيروفيتانكور»، ليطلبه بتعيين أهالي كيرالا في الوظائف العليا بدلا من البراهمة من ولاية «مدراس» وغيرها.

كانت منطقة الملبيار تحت حكم عدد من الملوك الصغار بدون نظام موحد. إنما قام بتوحيدها السلطان حيدر علي وابنه السلطان «تيبو»، فصارت المنطقة تحت نظام قانوني وضريبي موحد. أعطى السلطان «تيبو» للنساء حرية لتغطية صدورهن بالملابس حيث كن ممنوعات منها من قبل. وجدير بالذكر هنا أن النساء من طائفة «تشانار» من الطبقة السفلى من الهندوس في منطقة «تيروفيتانكور» البعيدة من الملبيار إنما حصلت على هذه الحرية بعد تمرد كبير على النظام المحلي عام ١٨٢٨، كان شبان الطبقة العليا من قبل يُمزقون ملابس صدورهن كما يقطعون أيضا أذئاهن في بعض الأحيان عندما يلبسن ملابس الصدور. وفي حرب ميسور الثالثة هزم الجيش البريطاني التابع لشركة الهند الشرقية السلطان «تيبو» مما اضطر للمعاهدة مع الشركة عام ١٧٩٢. وبموجب هذه المعاهدة اضطر السلطان للتخلي عن حكم مناطق «تيروفيتانكور» و«كوشين» والملبيار وتحويلها للشركة. هكذا أتت جميع مناطق كيرالا كاملة تحت هيمنة الاستعمار البريطاني بطريق غير عسكري.

كانت أول مطبعة أنشئت في كيرالا هي في «تانكاشيري» قرب منطقة «كولام»، وكان ذلك عام ١٥٧٨. وأول كتاب طُبِع في هذه المطبعة ترجمة أجزاء من الأناجيل بلغة «تاميل» تحت عنوان «تامبوران فانكام» (تسبيح الرب). وهذا الكتاب بـ ١٦ صفحة موجود حتى الآن في مكتبة جامعة «هارفارد» في أمريكا. تلتها مطابع أخرى في «كوتايام» و«فايبي» و«كودونفالور» غير أن حروف الطباعة في اللغة المالايالامية كانت غير متوفرة. وأول كتاب طُبِع باللغة المالايالامية كان «سامكشييتا فيداتهام» (مختصر ترجمة معاني الكتاب المقدس) ولكن إنما تمت طباعته في روما عام ١٧٧٢. كان الأب «كلايماننت» هو الذي نقش الحروف المالايالامية كلها

تقاليد المسيحيين وطقوسهم في جميع العالم على الأسوة الأوربية بحيث يكونون تحت بابا الفاتيكان، وذلك وفقا لقرارات «مجمع ترنت الكنسي» الذي انعقد بين عامي ١٥٤٥ - ١٥٦٣ في شمال إيطاليا. كان المجمع قد أذان هرطقات ارتكبتها بعض المسيحيين. لتنفيذ هذه القرارات في أوساط المسيحيين في كيرالا قام «ألكسيودام مينيس» رئيس الأساقفة في منطقة «جوا» التي كانت تحت سيطرة البرتغال آن ذاك بجولة شاملة في المراكز المسيحية في كيرالا للحصول على تأييد من الرهبان على تلك القرارات. وغالبية المسيحيين في كيرالا كانت من النسطوريين الذين اختاروا القيادة الروحانية في البغداد. بالرغم من هذا نجح مينيس في الحصول على التأييد من بعض الكنائس كما نجح في منح منصب الرهبانية لعدد ١٠٣ من الأشخاص. ففي عام ١٥٩٩ أقيم بعقد مجمع كنسي في «اودايام بيرور» لهذا الغرض، شارك فيه أولئك الرهبان بالإضافة إلى رئيس كنيسة «مالانكارا» جي فارغيس و٦٧١ من ممثلي الكنائس، شاركوا فيه خوفا من القوة العسكرية البرتغالية. فموجب القرارات التي اتخذت في هذا المجمع تخلصت الطقوس المسيحية من آثار التقاليد الهندوسية وتحددت قائمة بما يجب على أتباع اليسوع وما يحرم عليهم من المراسم الدينية. تبدلت لغة أداء «القربان» من الكلدانية السريانية إلى اللاتينية، وأحرقت جميع الكتب المقدسة في اللغة السريانية الموجودة في الكنائس. وجميع السلطات تم نقلها من أيدي البطريرك في بابل إلى أيدي البابا في الروم. كانت قرارات المجمع مسجلة باللغة البرتغالية، وقام الأب يعقوب تبرجمتها إلى اللغة المالايالامية. وتعدُّ هذه الترجمة بداية لأسلوب النشر المالايالامي الحديث.

كان هناك حشد كبير من المسيحيين غير راضين بهذا الانقلاب فبدؤا يتجمعون ضد هذه التطورات ويبدلون كل جهودهم لكي يتم تعيين بطرك من بغداد أو أنطاكية لاستعادة الوضع السابق. ولكن البرتغاليين لم يسمحوا للمطران الذي وصل إلى ميناء كوشين أن ينزل على الشاطئ بل انتشرت شائعة تفيد بأن البرتغاليين رموه في البحر بعد قتله مما أثار ثائرة النسطوريين حتى تجمعوا تحت قيادة الراهب «أركيدياكين» وخرجوا إلى «كنيسة ماتاناشيري» للقيام بالحلف وهم يمسكون الصليب الحجري المنصوب هناك. وبما أن حلف هذا التجمع الكبير بإمسك الصليب صعب جدا علقوا الصليب بحبل متين فأمسكوا جميعا على الحبل وحلفوا بأنهم جميعا قد قطعوا كل العلاقات مع البرتغال وأنه لا علاقة لهم بقرارات مجمع كنيسة «اودايام بيرور». لما سحب حشد كبير من الناس الحبل المعلق بالصليب انحنى وضعه قليلا؛ ومن ثم سُمي بالصليب الأهدب، وهكذا تفرقت المسيحية في كيرالا على فريقيين: كاثوليكيين رومانين وسوريانيين مالانكاريين.

وفي الفصول التالية يمر المؤلف على هجوم «تيبو»، السلطان المسلم في «ميسور»، على كيرالا، كما يتناول عددا من المواضيع مثل قدوم شركة الهند الشرقية، وبداية الطباعة وصدور المنشورات، ونظام الرق، وتمرد طائفة «تشانار» على القوانين السلطوية التي تتمتع بها الطبقات العليا من الهندوس، وحركة الخلافة وتمرد المسلمين في ملبيار ضد الاستعمار البريطاني، وكفاح المنبوذين للحصول على الدخول داخل معبد «جوروفايور» وعلى حق



## الابتكار التكنولوجي والتنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة غوان كوان

زينب الكلبانية \*

يُحلل هذا الكتاب العلاقة بين الابتكار التكنولوجي والتنمية الاقتصادية في اليابان قبل الحرب العالمية الثانية. ينشر غوان كوان، وهو أستاذ في جامعة الينمين الصينية متخصص في اقتصاديات التنمية، وتشمل اهتماماته البحثية الاقتصاد الصيني والاقتصاد الياباني، والتحليل الاقتصادي القياسي، والتحليل الإحصائي متعدد المتغيرات، ودراسات الحالة من مختلف الصناعات لإلقاء الضوء على الابتكار التكنولوجي في السياق الياباني مع التركيز بشكل خاص على أهمية نظام البراءات. أدى قدر كبير من الاختراعات وبراءات الاختراع الجديدة في هذه الفترة إلى نمو اقتصادي سريع في اليابان يتميز بالتطور المتزامن للصناعات التقليدية والحديثة.

خلال ما يقرب من نصف قرن، من نهاية القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين. انطلاقاً من التغييرات في المحركات البخارية والعجلات المائية، كان بيان مينامي بشأن ثورة الطاقة الأولى قابلاً للدفاع. وفقاً لتعريف مينامي، لتحليل عملية الميكنة في المصانع، من الضروري حساب نسبة المصانع التي تستخدم نوعاً معيناً من المحركات الدافعة. كما زادت قوة المحركات الرئيسية بسرعة مع تشغيل المصانع بمحركات. تمثلت ثورة القوة في تطبيق ونشر التكنولوجيا الصناعية العامة. مع تكثيف المحركات في المصانع، زاد عدد المحركات الرئيسية وقدرتها الحصانية، وازداد متوسط القدرة الحصانية للمحركات الرئيسية والقدرة الحصانية في اليابان الحديثة، تتم رعاية جميع أنواع المواهب لتلبية احتياجات التنمية الصناعية. في الأيام الأولى للتنمية الاقتصادية، شهد التعليم الابتدائي والعالي تطوراً كبيراً بفضل دعم الحكومة. يناقش هذا الفصل جزءاً خاصاً من الموارد البشرية «المخترعين». تتم دراسة هذه المجموعة من المخترعين بسبب فهمنا أن القوة الدافعة للتصنيع وحتى التنمية الاقتصادية هي الابتكار التكنولوجي، والذي يشمل بشكل مباشر المديرين والفنيين وموظفي البحث والتطوير في المؤسسة. إن تطوير التعليم، كعامل اجتماعي واقتصادي ينتج المخترعين، أمر حيوي، لأنه ينتج موارد بشرية كافية للأنشطة المبتكرة. غالبية المخترعين في الصناعات التقليدية لم يتخرجوا من المدارس الابتدائية، في حين أن جميع المخترعين في الصناعات الحديثة تخرجوا في الجامعات. تتميز الصناعات الحديثة بأنظمة تقنية معقدة وتتطلب معدات اختبار حديثة، الأمر الذي يتطلب استثمارات كبيرة.

لإجراء فحص دقيق للتغيرات بين الصناعات التقليدية والحديثة، من الضروري إجراء تحليل محدد عن طريق طريقة التحليل الإحصائي. على وجه التحديد، شهدت الصناعات التقليدية زيادة في الإنتاجية من خلال ثورات الطاقة وأنواع أخرى من التحسينات التكنولوجية. ومع ذلك، بحلول الثلاثينيات من القرن الماضي، كانت ثورة القوة قد حققت أهدافها بشكل أساسي، ودور التطورات التكنولوجية الأخرى. على سبيل المثال، لعبت ثورة القوة من 1909 إلى 1920 دوراً كبيراً، ولكن تم الاعتماد بشكل أكبر على التطورات التكنولوجية الأخرى في الفترة اللاحقة. إن الأبحاث حول التنمية الاقتصادية اليابانية والابتكار التكنولوجي قبل الحرب العالمية الثانية؛ هي في الأساس دراسات حالة للصناعات الفردية أو المناطق، في حين أن تحليل قطاع التصنيع ككل أو عدد الصناعات الرئيسية قليل ومتباعد. في الواقع، يرتبط هذا ارتباطاً وثيقاً بأصل الابتكار التكنولوجي، وكذلك ما يسمى بفرضيات «الطلب والجذب» و«الدفع التكنولوجي» للعلاقة بين التنمية الصناعية والابتكار التكنولوجي. تتم دراسة خصائص الابتكار التكنولوجي في الصناعات المختلفة من خلال ملاحظة العديد من المؤشرات التي تعكس كثافة الابتكار التكنولوجي. من خلال المراقبة والتحليل، يمكننا أن نرى الاختلافات بين الصناعات التقليدية والحديثة في أنشطة الإنتاج والابتكار التكنولوجي. من أجل التحقق من الفرضية، يتم استخدام البيانات الخاصة ببراءات الاختراع لتمثيل الابتكار التكنولوجي، ويتم استخدام القدرة الحصانية للمحركات الرئيسية لتمثيل استثمار المعدات للتحليل الكمي.

تساعد هذه الأفكار في إعادة تشكيل فهم التنمية الاقتصادية والتقدم الصناعي في اليابان، في مرحلة مبكرة، وتوفر مؤشرات للبلدان النامية حول كيفية تأثير رأس المال البشري والقدرات الاجتماعية، وبالتالي الابتكار التكنولوجي في النمو الاقتصادي. الكتاب سوف يروق للأكاديميين في اقتصاد شرق آسيا، واقتصاديات التنمية والتاريخ الاقتصادي الحديث، وكذلك القراء المهتمين بمعجزة الاقتصاد الياباني باعتباره أول من حقق التنمية الاقتصادية والتحديث بين الدول غير الغربية.

يبدأ التطور التكنولوجي في البلدان النامية عموماً باستيراد التكنولوجيا من البلدان المتقدمة، ويصل تدريجياً إلى الابتكار التكنولوجي من خلال تعميمها في البلد بأكمله. يجب ذكر «ميزة فرضية التخلف» التي قدمها كراشنيكو عند دراسة استيراد التكنولوجيا من قبل البلدان النامية. علاوة على ذلك، هناك علاقة ارتباط سلبية بين ميزة التخلف والقدرات الاجتماعية. يتم هضم التكنولوجيا المستوردة في المراحل المبكرة إلى حد ما من خلال تعميمها في بلد ما، ويمكن تنفيذ الابتكار التكنولوجي مثل التقليد والتعديل على التكنولوجيا المستوردة. إذا سار التطور التكنولوجي بسلاسة في البلدان النامية، فسوف يتقدم من استيراد التكنولوجيا إلى تعميم التكنولوجيا إلى الابتكار التكنولوجي. هناك ابتكار تكنولوجي يصنع حقبة، وبعضه يتم تنفيذه على فترات متقطعة.

يبحث هذا الكتاب في التطور الصناعي والتغيرات الهيكلية في اليابان الحديثة، وخاصة علاقتها بالابتكار التكنولوجي. تختلف أسباب التغيرات الهيكلية في الصناعات التقليدية، والصناعات الحديثة من فترة إلى أخرى. الصناعات التقليدية هي في الأساس مصانع صغيرة كثيفة العمالة ولا تستخدم الطاقة، في حين تتميز الصناعات الحديثة بشكل رئيسي بمصانع كبيرة كثيفة رأس المال وتستخدم الطاقة.

كما يناقش غوان كوان قضايا السوق، والتي تعد أحد شروط الابتكار التكنولوجي. هناك مشكلتان في السوق: حجم السوق وهيكل السوق. وفقاً لفرضية شومبيتر، يجب



في قطاع الدراجات.

هناك عدد كبير من العوامل التي تعزز التنمية الصناعية، مثل زيادة الطلب في السوق المتقدمة، وزيادة القدرة على التوريد بسبب الابتكار التكنولوجي، وكذلك السياسات الصناعية للحكومة. يعتبر الابتكار التكنولوجي للصناعات التقليدية أكثر أهمية، لأن لها ميزة من حيث الكمية، ويتم دعم تطوير التقنيات الشعبية بشكل كبير. ينطبق نمط التنمية الصناعية من الصناعات التقليدية إلى الصناعات الحديثة في اليابان الحديثة أيضاً على العديد من البلدان النامية الأخرى. كان للحكومة دور أكبر في الابتكار التكنولوجي مقارنة بالمجالات الأخرى، لأن التكنولوجيا من طبيعة المنافع العامة وليس من السهل حشر السوق. روجت الحكومة اليابانية لهذا الأمر في وقت مبكر، مما أنتج ثروة من المواهب التطبيقية لتطوير الصناعات التقليدية والصناعات الحديثة. كانت الصناعات التقليدية هي الأغلبية في الأيام الأولى، لكن التركيز تحول بعد ذلك إلى الصناعات الحديثة.

في خلاصة المقال، يمكن أن نقول بأن الكتاب رائع إذ درس الابتكار التكنولوجي والتنمية الاقتصادية في اليابان، كما حلل عوامل تعزيز التنمية الصناعية، مثل زيادة الطلب في السوق المتقدمة، وزيادة القدرة على التوريد بسبب الابتكار التكنولوجي، وكذلك السياسات الصناعية للحكومة. كما تحدث غوان كوان في كتابه عن العلاقة بين التطوير والابتكار التكنولوجي في قطاع الريكاشة، ويمكن القول بأن هذا الكتاب هو تجربة رائعة يمكن أن تستفيد منها العديد من الحكومات في الدول التي لا زالت تبحث عن تعزيز الابتكار التكنولوجي، وتشجيع المؤسسات الحكومية والخاصة في البلد. وكلنا نعلم بأن اليابان هي خير مثال لتمثل هذه النقلة النوعية في التنمية الاقتصادية والابتكار التكنولوجي، إذ أنها بدأت من الصفر بعد الحرب العالمية الثانية، وخلال سنوات قليلة استطاعت أن تثبت للعالم بأنها أحد الاقتصادات الأقوى في العالم.

## الكتاب: الابتكار التكنولوجي والتنمية الاقتصادية في اليابان الحديثة

المؤلف: غوان كوان

سنة النشر: 2020

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 260 صفحة

دار النشر: روتليدج

\* كاتبة عُمانية



يبحث الكاتب كذلك في عملية تطوير وخصائص قطاع الدراجات من منظور التطور التكنولوجي، وخاصة الابتكار التكنولوجي. عندما تم تصدير الدراجة إلى اليابان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت الدراجات لا تزال في حالة تطور. بهذا المعنى، من المناسب تحليل صناعة الدراجات كصناعة وسيطة. في الثلاثينيات من القرن الماضي، شهد قطاع الدراجات تطوراً متسارعاً، ويرجع ذلك أساساً إلى التقدم التكنولوجي. قد يسمى هذا بفترة الابتكار التكنولوجي. ربما بدأ قطاع الدراجات في اليابان في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. تم تحقيق التعميم الكامل بحلول النصف الأول من القرن العشرين. بالإضافة إلى هذه الشروط الفنية، يتطلب اختراق المنتجات والتقنيات أيضاً ظروف السوق، أي حجم السوق وهيكل السوق. يشجع الأول على تغلغل الدراجات كطلب، بينما يحدد الأخير كمية وخصائص الابتكار التكنولوجي. يهدف هذا الكتاب إلى دراسة عملية تطوير قطاع السيارات الياباني من منظور التقدم التكنولوجي والابتكار التكنولوجي قبل الحرب العالمية الثانية، ومقارنتها بصناعة الدراجات. بالمقارنة مع هاتين الصناعتين، من الواضح أن قطاع السيارات صناعة حديثة ذات نظام تقني أكثر تعقيداً، وتختلف عمليات التطوير وظروفه. بعد عشرينيات القرن الماضي، حظي الابتكار التكنولوجي في صناعة السيارات بدعم كبير من السوق. تتجلى أنشطة الابتكار التكنولوجي البطيئة أيضاً في هيكل الإنتاج لقطاع السيارات. كان مسار التطور التكنولوجي نتيجة للجهود المستمرة لعدد كبير من الناس. مثل قطاعي العربة والدراجات، تشمل هذه الجهود الموارد البشرية وظروف السوق والسياسات الحكومية. أهمية زيباتسو ورأس المال الأجنبي في هذا القطاع غائبة

مناقشة قضيتين: الأولى هي العلاقة بين حجم المؤسسات والابتكار التكنولوجي، أي ما إذا كانت الشركات الكبيرة أكثر ملاءمة للابتكار التكنولوجي. والثاني هو ما إذا كانت الشركات الاحتكارية أكثر ملاءمة للابتكار التكنولوجي. في الواقع، يعد الابتكار التكنولوجي في الصناعات الحديثة ذا أهمية أكبر للتنمية الصناعية في المستقبل على المدى الطويل مقارنة بالصناعات التقليدية، لأن التصنيع والتحديث حدث بشكل رئيسي بفضل الصناعات الحديثة. تتجلى خصائص استيراد التكنولوجيا المذكورة أعلاه في الابتكارات التكنولوجية. بعبارة أخرى، كان للزياتسو دور هائل في الصناعات الحديثة، لكنه لعب دوراً أصغر في الصناعات التقليدية. لعبت زيباتسو دوراً مهماً في استيراد التكنولوجيا والابتكار التكنولوجي في الصناعات الحديثة، لأن زيباتسو احتلت مكاناً لا يستهان به، في هذه الصناعات. بالإضافة إلى كونها قوة اقتصادية، تعد اليابان أيضاً قوة رئيسية من حيث التكنولوجيا وبراءات الاختراع اليوم. ظهر نظام براءات الاختراع الياباني كإشعار حكومي بشأن قواعد الاحتكار في عام 1871، بعد وصول حكومة مييجي إلى السلطة. بعد إلغاء قواعد الاحتكار، اتخذت الحكومة موقفاً سلبياً تجاه إنشاء نظام براءات الاختراع. كان من أبرز سمات نظام البراءات الياباني قانون نموذج المنفعة الذي سُن في عام 1905. ومن خلال التمييز بين فترات صلاحية براءات الاختراع في المراحل الأولى وسن قانون نموذج المنفعة في المراحل اللاحقة، ظهر عدد كبير من الاختراعات الصغيرة، وخاصة في الصناعات التقليدية. بفضل قانون نموذج المنفعة، يمكن حماية الاختراعات الصغيرة إلى أقصى حد ممكن في اليابان. تشمل سياسة منح الاختراعات وثيقة الصلة بنظام البراءات، في جملة أمور، نظام الثناء ونظام الإعانة ونظام تمديد حق البراءات.

يبحث هذا الكتاب العلاقة بين التطوير والابتكار التكنولوجي في قطاع الريكاشة، أحد ممثلي الصناعات التقليدية. والسبب في ذلك من ثلاثة جوانب: أولاً، تشكلت هذه الصناعة بناءً على التحسن في التكنولوجيا اليابانية التقليدية. ثانياً، خلال الفترة الحديثة، مرّت هذه الصناعة بالعملية برمتها منذ ظهورها وحتى زوالها. ثالثاً، هذه الصناعة ليست مجرد صناعة تقليدية بسيطة، حيث لعبت دوراً محورياً في الأيام الأولى للتصنيع. علاوة على ذلك، تبنت صناعة العربة نظام تقسيم العمل في المرحلة المبكرة، مما أدى إلى زيادة الإنتاجية وتحفيز تطوير نظام التعاقد. أشار تطور الاقتصاد الياباني إلى وجود طلب كبير على النقل، مما شجع على تعميم عربات الريكاشة وتطوير الصناعة. كان نمو قطاع عربات الريكاشة أيضاً نتيجة لارتفاع الطلب.



## عصور الرأسمالية الأمريكية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية جوناثان ليفي

نايف البسامي \*

يعتبر جوناثان ليفي أحد المؤرخين، والرواد الاقتصاديين البارزين في العالم، إذ يتابع التطور الحاصل للرأسمالية الأمريكية من وقت الاستعمار إلى وقتنا الحاضر، ويجادل على أن فترتنا الحالية هي نقطة التحول في الاقتصاد الأمريكي. كما يعقب مؤلف كتاب مملكة القطن ستييف بيكيرت بقوله: يعد هذا الكتاب أفضل ما كتب عن الرأسمالية الأمريكية، بحيث يتطلب فهم الولايات المتحدة وفهم اقتصادها. هذا الكتاب يعتبر من إعداد أحد أفضل المؤرخين الرأسماليين في أمريكا، بحيث يعيد لنا القصة الرائعة التي لا نهاية لها في تلك الحقبة.

جديد يمثل تأميناً مبنياً على البنك الوطني المستأجر الحكومة والدين الحكومي.

كان النجاح الكبير الذي تحقق في الجنوب باهظاً، وخصوصاً في تجارة القطن، الذي أصبح مربحاً للغاية، مما أدى إلى فقاعات متضاربة في اثنين من الأصول المنتجة، وهي الأرض والمستعدون في حرتها. بعد قرار دريد سكوت من المحكمة العليا، الذي حظر الكثير من الأمور، وكان من ضمنها القيود الفيدرالية الموضوعة على العبودية خارج المستعمرات الـ ١٣ الأصلية، أدى ذلك إلى ارتفاع أسعار العبيد؛ حيث وصل سعرهم إلى ثلاثة مليارات دولار في حلول عام ١٨٦٠، وتساوي آنذاك قيمة جميع المباني والآلات الصناعية في البلاد. لكن بعد التحرر وزوال الكونغرس الرأسمالية تم القضاء على الرأسمالية بجانب اقتصاد الجنوب بحيث استغرق قرناً للنعاية. من النتائج التي حققتها الحرب الأهلية، توسع نطاق الحكومة الفدرالية، وتحقيق القدرة على النمو الاقتصادي، عن طريق الإنفاق والاقتراض، أو خلق المال من الفراغ في حالة التمويل الخاص، أو عن طريق طباعته في حالة الحكومة. يشير ليفي أن رأس المال غير كل شي يلامس الحياة، بالإضافة إلى دورة ذاتية في تعزيز زيادة الاستثمار. الدور الملحوظ الذي لعبته الثورة الصناعية في الزراعة (المكانن) بحيث تضاعف الإنتاج ثلاث مرات تقريباً، خلال العشرين سنة من تلك الحقبة، وصار حصاد خمسة أقدنة في ولاية كانساس، وشحنه إلى لندن أقل كلفة من حصاد فدان واحد في ديفونشاير بإنجلترا. المكافأة لم تكن من نصيب المزارعين الأمريكيين فقط، بل انعكست على أسعار المنتجات الزراعية المحلية والعالمية مما أدى إلى انخفاضها بشكل ملحوظ، وأجبر ملايين الأوروبيين إلى الهجرة لأمريكا، وتقديم عمالة رخيصة بسبب الازدهار الصناعي أولاً في السلع الوسيطة كالحديد والمواد الصلبة، وهو ما أفسح المجال للسلع الاستهلاكية ذات الأسعار المعقولة، والمنتجة بكميات كبيرة للطبقة المتوسطة المتنامية.

أهم عناصر عصور رأس المال هنا، كما يصفها الكاتب قيمة قطع الآلات أو الشركات، وقيمتها الاستثمارية ليست مهمة بقدر الربح المتوقع منها في المستقبل. من خلال خيمياء المضاربة هذه، تمكنت وول ستريت من تحويل دولار واحد من رأس المال إلى ثلاثة،

تاريخ البلاد، ومن المرجح أن تتغير مرة أخرى في الوقت الحالي. تطور الرأسمالية الأمريكية من الحقبة الاستعمارية إلى الوقت الحاضر، ويجادل الكاتب بأننا وصلنا إلى نقطة تحول سئحد الحقبة المقبلة.

يقدم ليفي من جامعة شيكاغو، مجلدا ضخماً يركز على تاريخ اقتصاد الولايات المتحدة، ويعد مرجعية لكثير من المؤرخين. ينسج كتاب عصور الرأسمالية الأمريكي بتناسق، وبراعة بين خيوط التاريخ الاقتصادي والتجاري والسياسي والاجتماعي والفكري، في سرد جذاب يسهل الوصول إليه، ويوضح كيف، ولماذا أصبحت أمريكا أكثر اقتصاد العالم نجاحاً. يجب أن تكون أعمال جوناثان التي تم بحثها بشكل مدهل، ومكتوبة ببراعة وأناقة متطلباً في جميع كليات التاريخ وتخصص الاقتصاد بالذات.

يعكس ليفي من خلال هذا المجلد المكون من أكثر من ٧٥٠ صفحة، رؤية الاقتصادي البريطاني العظيم جون ماينار كينز، ولاسيما في الأهمية الحاسمة في الاستثمار، وضرورة التوجيه الحكومي لها لضمان استدامتها والحفاظ عليها. يخبّرنا ليفي أن في كل عصر من الرأسمالية الأمريكية يحتاج لجهد جديد في تشكيل العلاقة بين الحكومة والأسواق؛ بحيث تستمد تشكلها من الاضطرابات في النظام الاقتصادي القديم.

نقطة يوضحها ليفي في قسم "عصر التجارة"، من الكتاب عن الاقتصاد الاستعماري، ويبين طريقة نموه من خلال منطقة إمبراطورية تجارية شاسعة، بحيث يتم تبادل السلع مثل الأسماك والحبوب والأخشاب والقطن والتبغ للأشخاص المستعبدين من بربادوس وجامايكا. أيضاً يوضح ليفي التكلفة التي دفعها أمريكا جراء مغادرتها الإمبراطورية البريطانية بحيث انخفضت نسبة مستوى المعيشة إلى ٢٠٪ تقريباً، إلى جانب استبدال الاقتصاد باقتصاد محلي جديد.

تطلب النظام الأمريكي توسعاً كبيراً باتجاه الغرب بصورة ثابتة نحو أراضي الهنود الحمر - السكان الأصليين - التي يحرثها العبيد والمهاجرون الأوروبيون بعقود. تطلبت تطوير المصانع والمطاحن التي تعمل بالماء والبخار في المدن الشمالية الشرقية الرئيسية، إلى جانب الطرق والقنوات وخطوط السكك الحديدية لجلب سلعها إلى السوق. وكانت كل المشاريع تحت نظام

يمتد العصر التجاري الأمريكي منذ اندلاع الحرب الأهلية إلى الحقبة الاستعمارية، إذ إنها فترة نمو اقتصادي اعتمدت على العمالة المستعبدة، ومحدودية ما يمكن إنتاجه من الأراضي، ومكان تداولها. يبين الكاتب عصر تتع رأس المال، وتأثيره الكبير على التطور الاقتصادي بعد الحرب الأهلية. تأتي الثورة الصناعية بعد أن وضع الرأسماليون جل ماله في المصانع لإنتاج السلع التجارية، وتغذيتها بتنقل العمال للمدن. ويعتبر واجهة الاستثمار في الاقتصاد الصناعي العديد من التقلبات الكبيرة، وكان أشدها دراماتيكياً مع بداية الكساد الكبير عام ١٩٢٩. قاد هذا الكساد إلى عصر السيطرة عندما أخذت الحكومة نشاطاً أكثر في عدة قطاعات في الاقتصاد، التي تعتبر القفزة الأولى لها، ثم بداية تمويل الإنتاج العسكري في الحرب العالمية الثانية. أدى التشكيك في تدخل الحكومة في الحرب الباردة التي جانب الركود والتضخم الاقتصادي في السبعينيات، إلى أزمة الرأسمالية الصناعية، وسحب عن الإرادة السياسية للتنظيم. بعد ذلك أتى عصر الفوضى؛ نتيجة الجمع بين إلغاء الضوابط التنظيمية، ونمو الصناعة المالية إلى ازدهار الاقتصاد بالنسبة للبعض، ولكنه أدى أيضاً إلى عدم المساواة، وعدم الرقابة التي أدت مباشرة إلى الانهيار عام ٢٠٠٨.

في الوقت الحالي وفي ظل الأزمة الاقتصادية الجديدة، والخلاف السياسي الحاد تواجه الرأسمالية الأمريكية مفترق طرق مصيرية. منذ انهيار السوق العالمي والركود الاقتصادي في سنة ٢٠٠٨، كان مؤرخ الرأسمالية جوناثان ليفي يدرس طلابه على فهم ما حدث في الأزمة الاقتصادية، والوضع الراهن للاقتصاد مما ساعدهم للوصول إلى شي جوهرى في طبيعة تاريخ اقتصاد الولايات المتحدة. الآن يظهر طموح الكاتب من خلال هذا المجلد، الذي يعكس تاريخ الولايات المتحدة، ويكشف تطورات الرأسمالية، من بداية الاقتصاد الأمريكي، إلى الوقت الحاضر عبر أربعة عصور مختلفة، وكيفية التطور المرتبط بطبيعة الحياة الأمريكية نفسها عبر التاريخ.

في عصور الرأسمالية الأمريكية، يثبت جوناثان أنه، خلافاً للعقيدة السياسية، لم تكن الرأسمالية في الولايات المتحدة شيئاً واحداً فقط. في المقابل تحولت إلى شيء مرتبط بجميع جوانب





في إثبات أن الماضي لا يختلف كثيراً عن الحاضر. يشير ليفي إلى أن أي شخص منزع من القوة الكبيرة للأعمال في السياسة الأمريكية المعاصرة، قد يجد تبرئة في كتاب ١٦٥٠ "Leviathan" للفيلسوف توماس هوبز، حيث تظهر الشركات في فصل بعنوان: «تلك الأشياء التي تضعف، أو تميل إلى حل الثروة المشتركة».

يستشهد الكتاب بسخرية الخبير الاقتصادي جون ماينارد كينز، عندما يصبح تطوير رأس المال في بلد ما منتجاً ثانوياً لأنشطة الكازينو، فمن المرجح أن يكون إنجاز هذه المهمة بصورة سيئة. حول الاقتصاد بعد ٦٠ عاماً، يلاحظ ليفي ضعف الاستثمار طويل الأجل الخاص والعام، خارج الاستثمارات العسكرية في أشياء مثل نظام الصواريخ بين النجوم، التي لم تنجح في محاربة عدو الحرب الباردة، الذي كان ينهار على أي حال. يعتقد الكاتب بوضوح أن الحكومة يجب أن تلعب دوراً أكبر في الاقتصاد من الناحية السياسية أكثر من أي وقت مضى. ويعتبر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، عندما تمكنت الحكومة من الحصول على ائتمان غير محدود على ما يبدو - فرصة ضائعة للقيام باستثمارات واسعة النطاق في الحياة الاقتصادية - في مشاريع مثل نظام طاقة جديد لالتقاط، وخفض انبعاثات الكربون.

وختاماً، على الرغم من أن أقوى فصول هذا الكتاب تدور حول تاريخ قبل النصف الثاني من القرن العشرين (قبل ١٩٥٠)، إلا أن تقييم ليفي للاقتصاد أواخر القرن العشرين، وأوائل القرن الحادي والعشرين، هو أمر ذكي ومثير للمخاوف. ويشير إلى أن القطاع المالي قد تحول بعيداً عن الاستثمار في الشركات التي تنتج بالفعل سلعة مطلوبة، واتجه إلى الاستثمار في العملات الأجنبية، والمشتقات والديون، وهي عملية يُسميها ليفي الفصل بين التمويل وأجزاء أخرى من الاقتصاد. يؤرخ ليفي أيضاً صعود «اقتصاد الوظائف المؤقتة» (أي تراجع التوظيف الآمن والدائم)، وتحول المسار إلى الضمان المالي من كسب الأجور والادخار إلى الحصول على الأصول التي تقدر قيمتها. يمكن القول من وجهة نظري أن هذا الكتاب دليل ومرجع لا غنى عنه لفهم التاريخ الأمريكي، وقد يكون دليلاً لفهم ما يحدث للاقتصاد الأمريكي العالمي اليوم.

## • الكتاب: عصور الرأسمالية الأمريكية

## • في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية

## • المؤلف: جوناثان ليفي

## • اللغة: اللغة الإنجليزية

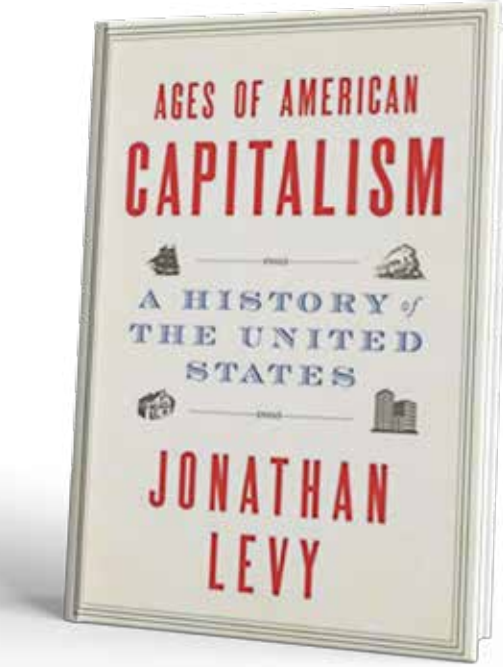
## • عدد الصفحات: 944 صفحة

## • سنة النشر: 2021

## • دار النشر: راندوم هاوس للنشر

## • والتوزيع

\* كاتب عماني



ورفع الأسعار. التضخم المسحوب بالركود كان بمثابة تحدٍ للاقتصاد الكينزي - يُستخدم هذا المصطلح للإشارة إلى مفهوم أن الأداء الاقتصادي الأمثل تحقيقه، ومنع الأزمة الاقتصادية بواسطة التأثير على الطلب الإجمالي من خلال تفعيل الموازنة، والتدخل الاقتصادي من قبل الحكومة - وهو ما دفع مجلس الاحتياط الفدرالي إلى رفع أسعار الفائدة إلى ٢٠٪، لترويض التضخم المالي، وتحرير موجة الأعمال التجارية. وهو ما أدى إلى تحد جديد لقادة أعمال الشركات الأبوية في وول ستريت لمواجهة التجار الذين يطالبون بعائدات أعلى. إعادة الهيكلة والتمويل كان له الدور الفعال في الأعمال الأمريكية في استعادة القدرة التنافسية، وتحقيق عوائد مذهلة للمستثمرين. من ناحية أخرى الاستثمار طويل الأجل سيحفظ القدرة الإنتاجية للبلاد، والأجور الراكدة للعمال الأمريكيين. ولكنه سيؤدي أيضاً إلى عودة دورة الازدهار والكساد، حيث أصبحت الأسواق المالية متضاربة على نحو متزايد، وأخذت الشركات والأسر والحكومات مبالغ متزايدة من الديون الرخيصة.

يصف الكاتب ليفي المشكلة بدقة في «رأسمالية تساوي ارتفاع أسعار الأصول بالرافعة المالية» بحيث أنها تتطلب عمليات إنقاذ متكرر وضخمة، من البنوك، والأسواق المالية من قبل وزارة الخزانة، والاحتياطي الفيدرالي لمنع الانهيار المالي والاقتصادي. يصف ليفي هذا الفترة بأنها فوضى العصر بحيث أصبح الاقتصاد مرتبطاً بشكل دائم بالعجز الحكومي الضخم، والقروض من الحكومات الأجنبية ذات التوجهات التجارية، وطباعة الأموال التي لا تنتهي من قبل الاحتياطي الفيدرالي، وكلها مصممة لتعكس فقاعات من خلال طمأننة المستثمرين أن الأسهم والسندات والعقارات تستحق بقدر ما دفعوا من أجلها بحماقة.

يشرح ليفي في هذا المجلد أيضاً أساسيات التاريخ الاقتصادي، بتفاصيل تجعل القارئ يفهمها بشكل أعمق، ويؤكد براعته

وثلاثة إلى تسعة، مما يسرع من اعتماد التكنولوجيا الجديدة ويزيد النمو السريع في الإنتاجية والأرباح وأجور العمال في الوقت المناسب. وهكذا كان خط سكة حديد بنسلفانيا لتوم سكوت أنجب أندرو كارنيجي للصلب الأمريكي، والتي بدورها أنجبت «فورديسم».

يصف ليفي هنا ببراعة ومن دون تملق البارونات الصناعية - يقصد بها الكاتب هنا الثروة التي حققت من خلال اختراعات الصناعات الضخمة - التي تضمها رؤى وتفاصيل حول الأعمال التجارية والتمويل.

يبين ليفي هنا أن فكرة فتح عصر رأس المال مرة أخرى، أمام واجهة التنمية الاقتصادية؛ يمكن أن ترجع الاقتصاد إلى دورة ائتمانية تسحب معها الاحتكار مرة أخرى، وقد تكون أكثر تفاوتاً وسلسلة مؤلمة من الانهيارات قصيرة الأجل مثل الذعر والكساد الاقتصادي في أعوام ١٨٧٣ و ١٨٩٣ و ١٩٠٧، التي تبعت بعد ذلك بالأزمة الاقتصادية الكبرى، وهي الأم في الثلاثينيات. خلال فترة الكساد الكبير واجه الاقتصاد أكبر عجز له بحيث انخفضت الأسعار بمقدار الثلث، والإنتاج بمقدار النصف، ووصلت البطالة بين العمال الصناعيين إلى ٣٧٪، وأدى فشل البنوك إلى خسارة مدخرات تقدر بـ ٧ مليارات دولار. وقد وصل الكساد إلى أنه أغلب الأسر بلا دخل مادي يذكر. يوجه ليفي توبيخاً ضمناً لأولئك الذين يقارنون بين الكساد الاقتصادي العظيم عام ٢٠٠٩ والانكماش الوبائي الأخير.

في أعقاب الكساد الاقتصادي يشير الكاتب إلى هوس صانعي القرار السياسيين، ورجال الأعمال لمحاولة منع البؤس المطول والمتفشي، ثم الانتقال إلى عصر التحكم، الذي أنشأته الهيكلت المؤسسية المخصص لها في الاتفاق الجديد، والذي تم بناؤه خلال الحرب العالمية الثانية، الخطوة التي سيطرت الحكومة من خلالها على القطاع الصناعي، والتمويل غير المسبوق في القدرة التصنيعية، وتحديد الأسعار، والأجور للعمال، وتحديد كمية الإنتاج، وتقنين المواد الخام والسلع الاستهلاكية. عند انتهاء الحرب انعكس رأي الحكومة على أن الجنود العائدين لديهم وظائف وتعليم ومنازل في الضواحي مليئة بجميع تجهيزات الحياة العصرية، التي تم الإعلان عنها بذلك، من خلال وسيلة العصر التلفزيون، وبيعها عن طريق مراكز التسوق الجديدة.

ويقول ليفي في كتابه: «كانت النزعة الاستهلاكية الأمريكية مشروعا طوباويا لا يقل جراءة عن الشيوعية السوفيتية». في العاصمة الأمريكية واشنطن أصبح صنّاع القرار السياسي يعتقدون أن بإمكانهم تعديل أدوات السياسة النقدية والمالية، لضبط المجاميع الاقتصادية مثل الإنتاج، والبطالة، والأسعار، والاستثمار التجاري، وثقة المستهلك. إنسان تلك الفترة نشأ رابط الأبوة بين قادة الأعمال التجاريين الذين أصبحوا «مرضى الربح» كما وصفهم الاقتصادي هيربرت سيمون، حيث أصبحوا يضعون مصالح المجتمعات على قدم المساواة مع مصالح المساهمين. يختصرها ليفي هنا في مقولته «أصبحت الرأسمالية مملعة إلى حد ما».

بحلول سبعينيات القرن العشرين، انهارت مكيبة الازدهار، وذلك نتيجة الاستنزاف والتنظيم المفرط للصناعات الرئيسية الحيوية، وبدأ المنافسة العالمية في تآكل قيمة الدولار، وهيمنة الأعمال الأمريكية، وهو ما أدى إلى تقليص الأرباح والاستثمار



## البحيرة المفقودة: الحولة كعلامة لتغير العلاقة مع البيئة في إسرائيل مايه دواني

أحمد أشقر \*

تشكل البيئة والسكان في فلسطين وحدة واحدة منسجمة ضمن المشروع الصهيوني منذ بداياته قبل أكثر من قرن إلى يومنا الراهن؛ فتدمير البيئة وطرد العرب منها سارا معاً يتقدم الواحد الآخر وفقاً لمتطلبات الحاجة.

الكيان بتنظيم عشرات الندوات واللقاءات وتقديم المخططات الوردية عما ينوي فعله وإنجازه. في سنة ١٩٥١ أكمل الكيان طرد ما تبقى من أهالي قريتي كراد البقارة والغنامة إلى سوريا، ومحو اسم القريتين اللتين كانتا في المنطقة الشمالية للحولة من المخططات. وترافق تجفيف الحولة مع صراع بين الكيان وسوريا التي اعتبرت عملية التجفيف اعتداءً عليها وطالبت إسرائيل بإعادة المطرودين من البقارة والغنامة إليها، إلا أنها رفضت. وتم اتخاذ قرار التجفيف كمحاولة للقضاء على الملاريا، وتوسيع الأراضي الزراعية كما حدث في مناطق عدة في العالم (أمريكا وأستراليا) (ص ٣٧-٧٧). تكثر الباحثة في هذا الفصل من عرض وتحليل الأرشيفات المختلفة ولا تحيد عما ورد فيها، علماً أن السبب الحقيقي وراء التجفيف عند الحركة الصهيونية كان تأهيل أراض زراعية جديدة من أجل جلب أكبر عدد من المستعمرين اليهود (وليس فقط تمكين مستعمري المنطقة كما تدعي الباحثة) ليستوطنوا في المنطقة المحاذية للحدود السورية وجزئياً الأردنية قرب منطقة الحمة، أي حشد أكبر عدد من المستعمرين اليهود على خطوط التماس مع سوريا التي رفضت المشروع وحاولت إفشاله إلا أنها لم تتمكن.

تشرح الباحثة (دواني) في الفصل الثالث- محمية صغيرة للذكرى الخلافات التي دارت بين (الصندوق القومي اليهودي/ كيرن كيبم ليسرل N.J.F) الذي تأسس سنة ١٩٠١ من جهة- ومجموعات الحفاظ على البيئة تنصدها (شركة حماية الطبيعة) التي تأسست أثناء التجفيف من جهة ثانية. أسفرت هذه الخلافات عن إقامة محمية طبيعية بمساحة ٤٠٠٠ دونم من أصل ٦٠-٧٠ ألف دونم، هي مساحة الحولة الأصلية. جرى هذا الخلاف والإنجاز في الفترة التي كانت مشاريع ورسائل الصهيونية «معادية للبيئة بوضوح»، واعتبرت محاولة إقامة المحمية عملاً «معادياً للصهيونية بطريقة أو بأخرى». تم الخلاف والاتفاق بصورة ودية بواسطة مكاتبات واجتماعات مختلفة جرى تصعيدها بتنظيم جولة للصحفيين في الحولة في الثاني من حزيران ١٩٥٢ (ص ٧٨-٩٨). عند ذكر ال(N.J.F) يجب التأكيد على أن هدفه لا يزال الاستيلاء على

عندما تقرر تجفيف المستنقعات والإبقاء على جزء كمحميات طبيعية ومنتزهات وطنية، بسبب تسارع استغلال المصادر الطبيعية وبداية دراسات الطبيعة ليعمل على زيادة الحفاظ على الطبيعة ويتحول إلى نموذج عالمي فيما بعد. وبما يخص الحولة فقد تم تقديم ١٤ تقريراً وتوصية بتجفيفها من الفترة العثمانية سنة ١٨٧٢ حتى بداية الفترة اليهودية في خمسينيات القرن الماضي ولم تحدث أي منها عن مصير الحياة الطبيعية فيها وضرورة الحفاظ عليها. وبرز تقرير واحد يتحدث عن ضرورة إبادة هذه الحياة للقضاء على الملاريا التي لم يمت أحد بسببها (ص ١٩-٣٦).

تحدث الباحثة عن تجفيف المستنقعات من قبل أمريكا، والدولة العثمانية، والاحتلالين البريطاني واليهودي كاستحقاق طبيعي نجم عن التطور العلمي واستغلال الطبيعة. إلا أنها لا تذكر أبداً السياقات الاستعمارية للمستوطنين في أمريكا وإبادتهم للسكان الأصليين، والاحتلالين العثمانيين والبريطانيين والاستعمار اليهودي الذي طرد غالبية عرب فلسطين وقام بإقصاء ما تبقى منهم عن مصادر الثروات المادية والاجتماعية والمعنوية في بلادهم. أي أن الهدف كان استعمارياً أيضاً كانت تسويغاته. فالحولة ليست مستنقاعاً نتيجة تجمع المياه، بل هي كبحيرة طبيعية من حيث التكوين الجيولوجي.

وتشرح الباحثة في الفصل الثاني- تجفيف باسم الاحتلال تغيرات مواقف المستعمرين اليهود منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى اتخاذ قرار تجفيف البحيرة، واعتبارهم فلسطين خالية من السكان، لذا عملوا على تغيير بيئتها وطبيعتها، وبما أنهم فشلوا في علاقتهم مع العرب طوّروا توجهاً عدائياً ضد البيئة. تغير هذا الموقف مع بداية مجيء أفواج المستعمرين من ألمانيا الذين تبنا «علاقة عقلانية» مع الطبيعة وبدأوا بتجريح البلاد. في السنوات الأولى للكيان اليهودي تم اعتبار «إحياء القفار، العمود الفقري للخطاب المحلي اليهودي والعالمي والمشروع الفعلي على الأرض، وتنقل الباحثة عن رئيس الكيان الأول، (بن تسفي)، سنة ١٩٥٢ قوله: «أثناء جلوة اليهود خربت البلاد وحان الآن ترميمها». وفيما يخص تجفيف الحولة قام

عن طرد السكان العرب كتب الباحثون العرب واليهود والأجانب الكثير من العناوين المختلفة. أما عن تدمير البيئة، فإن الحقل البحثي- الذي بدأ بالتطور في الكيان بداية تسعينيات القرن الماضي- لا يزال حكرًا على اليهود تقريباً، بينما بقيت مساهمات بعض العرب والأجانب محدودة.

يعد تجفيف بحيرة الحولة أهم مشروع بين مشاريع «تجفيف المستنقعات»، التي قامت بها الحركة الصهيونية في فلسطين؛ فقد كانت تمتد على مساحة ٦٠-٧٠ ألف دونم إلى الشمال من بحيرة طبريا لتصل حدود البانياس السوري ومرج عيون اللبناني، وجبل عامل اللبناني غرباً والجولان شرقاً. وقد بات واضحاً أنه أقسى مشاريع تدمير البيئة في فلسطين منذ النكبة حتى اليوم؛ لأنه أسفر عن إبادة مئات الكائنات الحية، منها أكثر من ٣٠ كائناً ليس له مثيل على الكرة الأرضية، وتدمير أكثر من ٢٠ ألف دونم من الفحم الحجري، ومنع ملايين الطيور المهاجرة من محطة راحة لاسترداد الأنفاس.

كان تجفيف البحيرة جزءاً من الخرافة الصهيونية عن احتلال الأرض الخالية من السكان وتعميرها. وكانت تُعرف قبل النكبة بـ«بحر الغوارنة»، و«برّ الغرّ» والبابير. كما ورد اسمها في لقيات رأس شمرا على الساحل السوري «بسمخو». يمثل الكتاب الذي بين أيدينا منهجاً في غاية الأهمية والتعقيد لأنه يتحدث عن مشروع التجفيف وخطابه، وإحياء جزء من الحولة سنة ١٩٩٣ كمحمية طبيعية ومنتزه وطني، دون الإشارة إلى طرد العرب منها في النكبة، والاكتفاء بعرضه كمشروع بيئي فقط.

يتكون الكتاب من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة. تقول المقدمة: «كان مشروع تجفيف الحولة أثناء تنفيذه مصداً للفخر الشعبي بقدرة دولة إسرائيل الشابة على تغيير نظام الخلق لصالح الإنسان، لكنه ترافق عند قسم قليل من المجتمع الإسرائيلي بحزن على فقدان المنظر الأولي والعمل من أجل الحفاظ عليه» (ص ٩-١٩).

تضع الباحثة (دواني) في الفصل الأول- مستنقع الحولة: اكتشافه وخطط تصفيته ضمن سياق تاريخي يبدو محايداً أو بعيداً عناً بدأ سنة ١٨٧١ في الولايات المتحدة الأمريكية



التاريخية التي يمارسها البشر (المستعمرون) بحق الطبيعة (ص ١٥٨ - ١٦٥). كان مشروع تجفيف الحولة وفشله آخر عمليات «تجفيف المستنقعات» التي هي عبارة عن أرض الفرق في فلسطين، لتبدأ فيما بعد عمليات التحريج الواسعة التي جاءت نتيجة الأزمة الاقتصادية والبطالة الواسعة قبل عدوان ١٩٦٧ كمحاولة من الدولة لتشغيل الناس بأجور زهيدة واشغالهم عن الأزمة الاقتصادية.

تواصل الباحثة (دواني) دراسة الممارسات التي بدأتها الحركة الصهيونية ولا تزال تمارسها. وإذا كانت الأخيرة تمكنت من السيطرة على أرض فلسطين وطرد العرب منها، كذلك تمكنت الباحثة من إقصاء العرب أصحاب هذه الأراضي الذين عاشوا منسجمين معها، ولم تذكرهم مرة واحدة. كما أنها استخدمت خرائط عدة وأكثر من عشرين صورة للبحيرة يُحفر فيها يهود فقط، علماً أنه تتوفر صور للبحيرة تعود إلى ثلاثينيات القرن الماضي وتُظهر العرب حين كانوا يبحرون فيها.

ومن المهم أن نذكر أيضاً أن الحولة كانت توفر مصادر عيش مختلفة للفلسطينيين مثل: صيد السمك، وتربية الجواميس التي انقطعت من فلسطين بعد تجفيف البحيرة، والزراعات المختلفة منها زراعة الأرز والقصب في فترات مختلفة ودورة حياة زراعية متكاملة. هذا هو عملياً الاستعمار الإحلالي في فلسطين: استعمار اليهود فيها- مقابل طرد العرب منها. فإذا كانت الباحثة- كما تقول- تبحث في تطوّر الخطاب البيئي في إسرائيل، فإنه من المهم التأكيد بأن هذا الخطاب لا يزال يعبر عن المشروع الاستعماري في فلسطين، لأن كل خطوة فيه تدمر تاريخاً بيئياً وغنياً يؤكد ما قاله البروفيسور (عران فايتسون) من الجامعة العبرية أثناء الاحتفال بصدور هذا الكتاب في شباط ٢٠٢١ حين قال: يَشَقُّون شوارعاً وأنفاقاً وبينون جسوراً لا تؤدي إلى أي مكان!.. ومن يتجوّل في فلسطين يلاحظ التغيرات الكبيرة والمستمرة على الأرض، ويرى تحوّل مساحات منها إلى شوارع إسفلتية سوداء وجسور وكتل من الخرسانة المسلحة تشهد على عنف المستعمرين اليهود.

• **الكتاب: البحيرة المفقودة: الحولة كعلامة لتغيّر العلاقة مع البيئة في دولة إسرائيل**

• **المؤلف: مايه دواني**

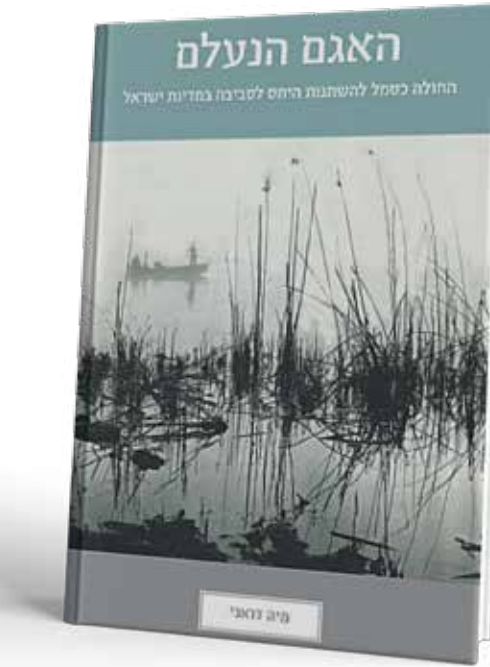
• **الناشر: معهد يد بن تسفي**

• **سنة الإصدار: 2020**

• **عدد الصفحات: 182 صفحة**

• **اللغة: العبرية**

\* **باحث في الدراسات الدينية ومترجم من فلسطين**



أما (وزارة حماية البيئة) فقد انضمت هي الأخرى إلى المؤسسات التي تعمل على مصادرة أراضي فلسطين واعتبارها محميات طبيعية مما يُفقد العرب مساحات من الأرض صغيرة بالأصل لكنها تحاصر أو تمنع تطوّرهم. ونذكر قرار (شركة حماية الطبيعة) لسنة ٢٠١٩ بهدم مخزن الصياد حمامة جربان من جسر الزرقاء، بحجة أن المخزن غير مُرخص وموجود في منطقة لا يُصدر الكيان فيها تراخيص صيد وبناء للعرب.

بدأت المشاكل والعقبات تبرز أكثر فأكثر أثناء عملية التجفيف إلى أن تم الاستنتاج بفشل التجفيف وتدميره للبيئة. في الفصل الأخير، الخامس- غمرتها المياه باسم الحفاظ على البيئة تعرض الباحثة (دواني) «الإنجازات» ومنها استيعاب ٦٠٠ عامل من مستعمرة (كريات شموهه/ المقامة على أراضي قرية الخالصة العربية) وتشير إلى الآثار السلبية للمشروع مثل عدم ملائمة أراضي البحيرة المفقودة للزراعة لأنها كانت عبارة عن فحم طبيعي يشتعل في فصول الصيف المختلفة وقد هبطت عدة مترات عما كانت عليه قبل التجفيف. وعندما اتضح أن المشروع يراكم الخسائر المالية بدأ الحديث عن ترميم البحيرة لأول مرة سنة ١٩٨٣ ومن بين عدة خطط للترميم، تقرر الدمج بين إعادة غمرها بالمياه مجدداً، والحفاظ على البيئة والزراعة، وإقامة مشاريع سياحية مختلفة. وفي سنة ١٩٩٣ بدأ العمل بتأهيل البحيرة المفقودة وإعادة غمرها بالمياه لإنقاذها. وتعدّ الحولة اليوم منطقة سياحية.

نتيجة لما تقدم، اعترفت الأطراف البيئية في الكيان بفشل «الغطرسة العلمية والتكنولوجية» التي «لم تعد مصدر فخر شعبي بقدرة الإنسان على التحكم بالطبيعة بل نموذجاً فاشلاً (ص ١٢٧-١٥٧). وتخلص الباحثة في خاتمة الكتاب إلى الاعتراف بفشل التجفيف واعتباره جزءاً من الأخطاء

الأراضي العربية وكيف تمكن من نزع نحو مليون دونم من ملكية العرب في فلسطين التي تبلغ مساحتها ٣٣ مليون دونم. بعد النكبة ومصادرة غالبية أراضي فلسطين، منحت دولة إسرائيل الصندوق القومي اليهودي الحق بإدارة أراضي الدولة لصالح اليهود فقط. وهو الذي هدم مئات القرى العربية وأقام المستعمرات وشقّ الشوارع عليها. أما (شركة حماية الطبيعة) التي تبدو أهدافها وأعمالها الحفاظ على البيئة فقد باتت هي الأخرى ذراعاً من أذرع الكيان في السيطرة على أراضي العرب باختيارها مناطق معينة والسيطرة عليها لإقامة محميات طبيعية، كانت بالأصل معدة لتطور العرب عليها.

تواصل الباحثة (دواني) في الفصل الذي يليه؛ أي الفصل الرابع- صغيرة صغيرة لكنها الأولى- الحديث والبحث في عملية إدارة المحمية والخلافات التي دارت بين الصندوق القومي وشركة حماية الطبيعة والمستعمرين في المنطقة، حيث ادعى كل طرف منهم أنه الأفضل لإدارتها لكن الأيدي الطويلة كانت للصندوق. وبعد الانتهاء من التجفيف سنة ١٩٥٧ بدأت الكوارث الطبيعية تظهر. في البداية تم الحديث عن انقراض عدد من الكائنات الحيّة (إلى أن وصل إلى مئات فيما بعد). وبما أنه لم يتم إتقان بناء المحمية فقد تقلصت مساحتها من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠ دونم فقط، وجرت بعدها محاولات عدة لترميم وإعادة بعض الكائنات إليها إلا أنها فشلت. لذا تقرر إعادة إغراق الحولة بالماء سنة ١٩٩٣. وتم الاتفاق خلال هذه الفترة على إقامة (وزارة حماية البيئة) (ص ٩٩-١٢٦). ويمكن القول إن قيام المستعمرين اليهود بتجفيف الحولة والكوارث التي اقترفوها بحق البيئة جزء من العنف الكلاسيكي المعروف الذي يمارسه المستعمرون، يُضاف إليه رغبة اليهود بالقضاء على البيئة العربية وبناء بيئة تنسجم مع مشروعهم الإحلالي، إضافة إلى جهلهم بطبيعة البلاد.

لم تكن الحولة «المستنقع» الوحيد الذي جففه طلائعيو الاستعمار اليهودي في فلسطين. فقد اعتبروا كل «مناطق الغرق» الممتدة من جنوب يافا إلى شمال غزة والحولة «مستنقعات» وعملوا على تجفيفها وبناء المستعمرات فيها، فألحقوا الدمار بها. وبما أن الطبيعة عنيدة وتدافع عن نفسها بوسائل لا تتوقعها، تُغرق الأمطار كل عام مئات البيوت في المستعمرات التي تم بناؤها وتُغرق أيضاً شارع (أيالون)، شريان حياة (تل أبيب) الذي تم شقّه في مناطق الغرق.

وفي هذا السياق نؤكد على أن اليهود حولوا قضية تجفيف مناطق الغرق (تجفيف المستنقعات) إلى ثيمة مركزية في سرديتهم الاستعمارية، وقد تبين أنها جريمة بيئية. أما المستنقعات التي ادعوا أنهم جفّفوها في مرج ابن عامر فلم تكن أصلاً مستنقعات كما أثبت ذلك كل من الباحثين اليهوديين، (يورام بار جال) و(شموعل شمائي) في مقال أكاديمي نشره سنة ١٩٨٢ مُستندين إلى خرائط ووثائق تعود إلى ٢٢٥ و ١٤٧ سنة خلت إضافة إلى مذكرات (مارك توين) الذي زار فلسطين سنة ١٨٦٧.



## حتى يموت الجميع ديامانت ساليهو

محمد المحفلي \*

يتناول كتاب «حتى يموت الجميع» قضية مثيرة للجدل، حيث يناقش صراع العصابات وهي واحدة من أهم القضايا التي تؤثر بشكل مباشر على شكل الخارطة السياسية وتحالفاتها وتلقي بظلالها على مختلف الموضوعات الداخلية، فبحسب المؤلف هذا الصراع لا يتعلق فقط بالمتورطين فيه بشكل مباشر، بل يرتبط بالعديد من القضايا المجتمعية الرئيسية، مثل السياسة، والقوانين الجنائية والاجتماعية، والهجرة والاندماج، والرفاه والاقتصاد، ومن ثم تمتد إلى المستوى الإقليمي والدولي.

المناطق المعزولة والضعيفة في المجتمع السويدي:

يلاحق الكتاب عالم الجريمة المنظمة في السويد، وبشكل خاص الصراع داخل عالم العصابات الذي يشكل الأطفال أغلب المنتمين إليه، ولكن هذا العالم يبدأ وينتشر في أحياء محددة مثل حي رينكي ويرفا في العاصمة أستوكهولم. وهذان الحيان يغلب عليهما السكان من خلفيات مهاجرة، حيث تجمعوا من مناطق مختلفة ليشكلوا الأغلبية في تلك الأحياء التي تحولت بفعل هذا التغيير الديموغرافي إلى أحياء معزولة، أو ضعيفة يغلب عليها الفقر، والبطالة، ويتسرب أطفالها من المدارس، ليصبحوا بعد ذلك أعضاء فاعلين في العصابات الناشطة في تهريب المخدرات والسلاح وبيعهما، والسرقة، والسطو المسلح، وغير ذلك من الأعمال المجرمة بالقانون.

هذا النموذج من الأحياء يمتد عبر المدن الكبيرة في السويد مثل حي أنجيريد في مدينة جوتنبرج غرب السويد، وحي روزنجورد في مدينة مالمو إلى أقصى الجنوب. والجامع المشترك بين هذه الأحياء هو أنها مناطق ذات كثافة سكانية عالية تكتظ بالمهاجرين، وتنتشر فيها الجريمة المنظمة حيث تولد العصابات ثم تتنافس فيما بينها لتؤدي إلى صراع مميت بين أفرادها.

ويؤكد الكاتب أن الأمر لا يتعلق بصراع العصابات في هذه المناطق فحسب، بل إن الكثير من أبناء وبنات تلك الأحياء قد انضموا إلى تنظيم الدولة الإسلامية داعش، منذ ما بعد العام ٢٠١٣. فانعزال هذه الأحياء لا يصنع عالم العصابات فحسب بل يؤدي إلى انضمام الكثير منهم إلى جماعات متشددة أيديولوجيا تؤثر بعد ذلك على أمن البلد والمنطقة بشكل عام.

الهجرة والاندماج البعد المحلي والدولي:

كما أشرت سابقاً، تتداخل هذه القضية في بعدها الإقليمي والدولي، لا سيما توظيف اليمين المتطرف مثل هذه الأحداث في صناعة خطاب معاد للهجرة والأجانب بشكل عام. وفي هذا السياق يشير المؤلف إلى تناول الرئيس الأمريكي السابق للسويد بوصفها نموذجاً لانتشار الجريمة بسبب المهاجرين، ففي فبراير ٢٠١٧ قال في خطاب أمام حشد من مؤيديه إن أمريكا لا تريد أن تصبح مثل بعض مدن فرنسا وإيطاليا والسويد، حيث يزعم أن الهجرة وسياسة الأبواب المفتوحة كانت السبب أمام زيادة نسبة الجريمة في هذه البلدان.

هذا المجال، أو عبر ما توصل إليه من معلومات من التقارير الإخبارية وغيرها من الوثائق المتاحة. لقد حاول الوصول إلى أفراد العصابات أنفسهم، وقابل بعضهم، والتقى بعائلات أفراد آخرين، وكذلك فعل مع أصدقائهم، ومع المسؤولين الحكوميين والمشرفين على دور الرعاية الاجتماعية والمدارس. وهذا الجهد يبدو واضحاً بشكل فعال في ملاحقة كل ما يتصل بأفراد هذه العصابات، وتتبع الوسط الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه أو ما زلوا يعيشون فيه، محاولاً الإجابة عن بعض الأسئلة، مثل: ما هي العوامل التي جعلتهم يتحولون إلى الإجرام؟ ما هو دور العائلة وبقية المؤسسات؟ كيف حصل الصراع، وما هي الأسباب التي تجعله أكثر تعقيداً؟

ولأن الكتاب لم يتبن خطأ واضحاً منهجية الاشتغال، فقد يشعر القارئ - في أحيان كثيرة - أن ما يقرؤه هو كتاب سردي روائي أكثر من كونه كتاباً يناقش قضية اجتماعية بهذه الخطورة، فهناك بعض الحشو الذي يقف فيه الكاتب عند مواضع معينة، ويبالغ في وصف مختلف التفاصيل الدقيقة التي تجعل الجمل تبدو أشبه ما تكون منقولة عن رواية، وفي بعض المواضع لا يقدم معلومات مهمة، إنما يوهم القارئ بأن شيئاً ما سيحدث ومع ذلك لا يحدث شيء.

يسوغ الكاتب دافعه لتأليف الكتاب برغبته في معرفة الأسباب التي تجعل الشباب يختارون التوجه إلى عالم الجريمة في هذه المناطق المنعزلة اجتماعياً، بدلاً من البحث عن عمل أو مواصلة التعليم، مع البحث عن الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي جعلت الأوضاع تصل إلى هذه المرحلة من الموت المستمر. ولكن يمكن القول إن هناك سياقات اجتماعية وسياسية، قد تكون مقصودة أو غير مقصودة تغذي مثل هذه الكتابات التي يعتمد عليها اليمين بشقية المتطرف والمعتدل، الذي يربط بشكل مباشر بين الجريمة والمهاجرين، حيث يتم توظيف مثل هذه الكتابات أو التقارير لصالح هذه السردية.

وعلى الرغم من محاولة الكاتب تتبع الأسباب الموضوعية لانتشار مثل هذه الجرائم في بنية المجتمع السويدي، ومؤسساته الرسمية، فإن هناك الكثير من التفاصيل التي تظهر للقارئ السويدي تجذر الأسباب الثقافية بشكل عميق في بيئة هذه المجتمعات المعزولة هي الفاعل الأكبر في هذه التحولات الخطيرة نحو اختيار حياة الجريمة.

مؤلف الكتاب هو الصحافي ديامانت ساليهو المتخصص في نقل أخبار الجريمة وتحليلها، بدءاً من عمله في صحيفة إكسبريسن Expressen السويدية المحلية، ثم راديو السويد، فقد مكثه عمله من زيارة الكثير من مسارح الجريمة عبر السويد. كما قادته خبرته الطويلة إلى تأليف هذا الكتاب منطلقاً من هذه الخلفية، متتبعا القصص الشخصية لأفراد العصابات التي تتصارع فيما بينهما في العقد الأخير، وهي قصص تعود لأطفال لم يتجاوزوا العشرينات من عمرهم، بل لا تستمر حياتهم لأكثر من ٢٤ عاماً بحسب الكتاب. ويرافق هذه القصص امتداد لمحاولة تتبع خيوط هذا الصراع الذي يبدأ من الأحياء المعزولة في أستوكهولم ومالمو وجوتنبرج، أو ما تسمى بالأحياء الضعيفة، حيث أغلب سكان تلك الأحياء من المهاجرين، ثم يشرع في سرد بعض الجرائم التي ارتكبوها، سواء جرائم السرقة والمخدرات والسطو، أو تلك التي تتعلق بالصراع الداخلي بين العصابات الذي تحول إلى سلسلة غير منتهية من القتل والانتقام، في حين أنهم كانوا قبل ذلك مجموعة من الأصدقاء المقربين. مستعرضاً مسار الجريمة الذي بدأ بالانتقال من السويد إلى أوروبا، عبر نقل الأموال إلى أماكن أخرى مثل أسبانيا. وفي كل ذلك يحاول مناقشة الأسباب، والسياقات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر وتتأثر بهذا الصراع.

أخذ الكاتب عنوانه «حتى يموت الجميع» من رد جعفر، أحد أفراد العصابة عندما سأله: إلى متى سوف يستمر هذا القتل فكان رده: «حتى يموت الجميع». مشيراً إلى أن هذا الصراع عبارة عن سلسلة من الانتقام والانتقام المضاد الذي لا يبدو له نهاية، فقد حصد حتى الآن ما يقرب من عشرين شخصاً، أغلبهم أطفال أقل من ١٨ عاماً، من المنتمين إلى تلك العصابات، وعدداً آخر من المدنيين الذين لقوا حتفهم في هاشم تلك المواجهات.

منهجية التأليف:

لم يظهر المؤلف بشكل تفصيلي منهجيته في الكتابة، ولكن يبدو أنه أراد أن يوصل القضية ويضعها على القارئ مع حفاظه على صبغتها الإنسانية المباشرة، في شكل سردي يجمع بين نقل ما يقوله الأشخاص من حكايتهم بشكل مباشر، وإضفاء الكثير من التفاصيل التي توصل إليها الكاتب، إما عبر خبرته في



القاضي يشعر بالإحباط ويتم إطلاق سراح المتهم في النهاية.  
معضلة انحراف الأطفال:

تكشف القصص التي يستعرضها الكتاب الأسباب الكامنة وراء انحراف الأطفال إلى عالم الجريمة، صحيح أن تلك الأسباب لم تناقش بشكل تفصيلي، ولكنها تبدو بوصفها ظواهر تحتاج إلى المزيد من الدراسة والتعمق من أجل فهمها ومحاولة السيطرة عليها، فالأطفال الذين ينشؤون في تلك البيئات المعزولة غالباً ما يكون الفقر هو أول الأسباب لديهم، مع عدم وجود أماكن للترفيه، وفي الوقت نفسه يوجد تراخي من قبل المؤسسات المسؤولة عن الأطفال الذين تبدو عليهم ملامح السلوك العدواني أو الإجرام المحتمل. بالإضافة إلى أن مؤسسات الخدمات الاجتماعية لم تستطع أن تفعل لأولئك الذين تم وضعهم في بيت الشباب شيئاً حيث لا توجد استراتيجية واضحة للتعامل مع جرائم الأحداث.

هذا الفشل في المؤسسات الرسمية يقابله أيضاً فشل في العائلات، حيث تنتشر الخلافات الأسرية وتفكك الأسر، وغالباً ما ترتبط قصص هؤلاء الأطفال المجرمين بمشاكل أسرية داخلية، وكذلك العلاقة غير الجيدة بين العائلات ومؤسسة الخدمة الاجتماعية، إذ يسري الخوف من سحب الأطفال، بالإضافة إلى الدور السلبي للمسجد ومؤسسات المجتمع المحلي التي لم تستطع تدارك انحراف الأطفال باتجاه الجريمة المنظمة.

موسيقى العنف:

يتناول الكتاب بشيء من التفصيل موسيقى الراب التي يؤديها بعض الشخصيات المنتمية إلى عالم الجريمة، منهم ياسين الذي يقبع الآن في السجن، أما الآخر فإنه يرتدي قناعاً، فلا يعرف من هو. انتشرت أغانيهم وصار لها ملايين المتابعين في الفضاء الإلكتروني، بل إن موسيقاهم تم بثها في راديو السويد، في ظل نقاشات حادة من الجدل الأخلاقي المتعلق بالترويج لموسيقى الإجرام.

تسجل كلمات بعض تلك الأغاني حياة المجرمين، بل إنه يشك أن بعضها تحمل رسائل إجرامية ضمنية، كما أنها مليئة بمفردات العنف والحشيش والمخدرات، وفي الوقت نفسه تشكل هذه اللغة من لغة خليط بين اللغة السويدية ولغات المهاجرين المختلفة تسمى أحياناً (لغة رينكبي) نسبة إلى حي رينكبي، مما يجعلها لغة هجينة لا تنتمي إلى اللغة السويدية إلا في هويتها العامة، بما يجعلها تعبيراً عن مجتمع العصابات الهجين الذين لم تعرف له هوية محددة حتى اللحظة.

• **الكتاب: حتى يموت الجميع**

• **المؤلف: ديامانت ساليهو**

• **الناشر: Mondial, Stockholm**

• **اللغة: السويدية**

• **عدد الصفحات: 354**

\* **باحث يماني مُقيم في السويد**



المتعمد أمام صراع العصابات، حيث ينقل الكاتب عن متحدث باسم الشرطة في إحدى البرامج الحوارية قوله إنه يتمسك بزعمه ويدعي أن الشرطة غالباً ما تسمح للعصابات الإجرامية التي تتعامل مع الأولاد المهاجرين أن تحل نفسها بنفسها، مستخدمة كلمة تعني «قتل التطهير» بمعنى أن تترك العصابات لتقتل بعضها بعضاً، بغض النظر عن أية اعتبارات قانونية أو أخلاقية، حتى لو كان المتصارعون من صغار السن. غير أن هذه الفلسفة ربما تتغير، فقد لوحظ مؤخراً أن صراع العصابات بدأ ينتقل إلى الاعتداء على الشرطة، بالإضافة إلى الحوادث الجانبية الكثيرة التي تنتج عن صراع العصابات المميت في الشوارع والمناطق المفتوحة.

ويقارن الكاتب بصورة غير مباشرة فعالية القانون السويدي مع جارتها الدنمارك ليبين الفرق في قوة القانون. يصل الكاتب إلى إظهار هذه الفرق وهو ينقل بالتفاصيل محاكمة إحدى العصابات السويدية التي ارتكبت جريمة قتل في الدنمارك، انتهت بالحكم بالسجن المؤبد على محمد علي زعيم عصابة دورية الموت واثنين آخرين بالسجن المؤبد، فيما خفضت الحكم على شخصين آخرين أصغر من ١٨ عاماً من السجن ٢٠ عاماً إلى ١٦ عاماً. ويعمل القانون الدنماركي فيما يسمى مضاعفة العقوبة إذا كانت الجريمة مرتبطة بعمل العصابات، وهذا عكس السويد تماماً، حيث أقصى عقوبة لغير البالغين في عملية القتل هو السجن أربع سنوات في دار الرعاية.

تدرك العصابات الثغرات في القانون، بسبب ما يمنحه القانون السويدي من عراقيل أمام وضع عقوبات رادعة مثل عدم القدرة على احتجاز الأطفال اقل من سن ١٨ إلا لأسباب خاصة، إضافة إلى الإعفاءات والتسهيلات والخصم من العقوبة فتعمل على تجنيد الأطفال لعلها أن القانون غير حازم في معاقبة غير البالغين، وعند إلقاء القبض عليهم فإن صمت المجرمين عند التحقيق حتى لو كان هناك قرائن على الجريمة، يجعل

وعلى الرغم من محاولة الكاتب الغوص عميقاً في أبعاد الظاهرة، فإن الكتاب يصب بشكل مباشر في صالح صنع خطاب معاد للأجانب في السويد، لا سيما الجالية العربية التي قد تصل أعدادها بحسب بعض التقديرات إلى أكثر من نصف مليون شخص. فقد اشتغل الكاتب على إبراز الهوية العربية لهذه العصابات من خلال حشد الأسماء العربية التي ذكرها، مع العبارات والألفاظ المستعملة في كثير من المواضع. وبالمثل أيضاً مع الجالية الصومالية التي يمتلئ الكتاب بكل تجلياتها السلبية لتبدو الجالية العربية والصومالية بأنها مرتبطة بشكل كامل بعالم الجريمة، مع أنه يشير بشكل خفيف إلى وجود جنسيات أخرى في العصابات، مثل الجنسيات البولندية، أو الأفريقية، لكنها عموماً تصب في خانة الهجرة. ونجد أنه يستعمل أحكاماً تعميمية تصم المجتمع الصومالي بأنه أنتج جيلاً من المجرمين، حيث يقول: «إن أولئك الذين فروا من بلدانهم من أجل أن يجدوا حياة أفضل أنتجوا جيلاً جديداً لم يعد مرتبطاً بمجتمعهم الأصلي في الصومال، في حين فشلوا في الاندماج في المجتمع الجديد وظهر جيل جديد من الصوماليين سواء كانوا في أوروبا أو أمريكا أو كندا منخرط في عصابات يقتل بعضها بعضاً» (ص: ١٤١).

صراع العصابات وصراع الهويات:

بعيدا عن الأغراض التي يمكن أن يوظف في سياقها محتوى هذا الكتاب، فإن ما هو واضح هو وجود صراع ثقافي في إطار المنتمين لهذه العصابات، وكذلك للبيئة التي تنمو فيها. لقد فشلت بعض العائلات المهاجرة من أن تندمج في المجتمع الجديد، وفي الوقت نفسه لم تستطع أن تحافظ بشكل جيد على شكل هويتها الأصلية، وفي ظل هذا الصراع الثقالي العميق يجد الجيل الجديد نفسه مشتتاً بين هويتين لا ينتمي إلى أي منهما. يظهر الكتاب الكثير من تلك القيم الثقافية الدخيلة على المجتمع السويدي، مثل ثقافة الانتقام، وهي الثقافة التي تغذي صراع العصابات، حيث لا هدف لذلك القتل إلا الانتقام. وكذلك محاولة بعض الآباء تعليم أبنائهم ثقافة الانتقام حتى لو كان من أطفال أصغر منهم، وهو الأمر الذي يرويه الكاتب في قصة الشاب خالد القادم من خلفية عربية حيث إن دخوله عالم الجريمة بدأ عندما دفعه والده وهو في سن التاسعة إلى أن يذهب وينتقم بالضرب من ابن جارهم لأنه اعتدى عليه (ص: ٣٢).

تراخي القانون:

يثير الكتاب مشكلة على ارتباط وثيق بالجريمة المنظمة، وهي مشكلة ضعف القانون. ومن ذلك تراخي الأجهزة الأمنية عن ملاحقة المجرمين مع ما يصاحب ذلك من بيروقراطية واسعة. وعدم وجود عقوبات رادعة للمجرمين، حيث يتيح قانون العقوبات السويدي تخفيف العقوبة على من هم دون سن الثامنة عشر، حتى في جرائم القتل، إذ يتم الاكتفاء باحتجازهم لفترة قصيرة فيما تسمى دور رعاية الشباب، وهذا له دور مباشر في استفحال الجريمة واستقطاب صغار السن لارتكابها بحماية هذه القوانين الضعيفة.

ويسري اعتقاد واسع النطاق أن الشرطة تمارس التراخي

# إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

## مصائر غير محتملة الصدفة والضرورة ومستقبل التطور

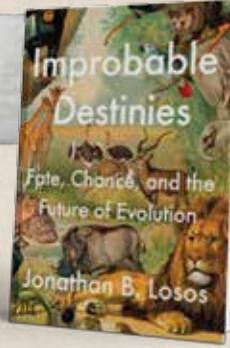
المؤلف: جوناثان ب. لوسوس

الناشر: لاديكوفيرت، باريس، فرنسا

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 376 صفحات

اللغة الفرنسية



التاريخ الطبيعي للأرض مليء بأمثلة رائعة عن التقارب، فقد ظهرت عدة تكوينات بيولوجية، مثل العيون أو الأجنحة أو الأرجل المميزة لتسلق السحالي، عدة مرات في عمليات النمو المستقلة. ومع ذلك، يعلمنا علماء الأحياء التطورية أن هناك أيضًا العديد من الأمثلة عن الصدفة: الحالات التي يكون فيها أدنى حدث - طفرة عشوائية، في ما قبل التاريخ - قادرة على تغيير مسار التطور. ما الأهمية التي يجب أن يُعزى إليها هاتان القوتان في طبيعة التغيير الدائم؟ النباتات والحيوانات الموجودة اليوم، ناهيك عن البشر أنفسهم، هل كان مصيرهم جميعًا الظهور أم أنهم مجرد نتيجة احتمالات طارئة؟ وما هي الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها بشأن أشكال الحياة على الكواكب الأخرى؟

يكشف لنا هذا الكتاب عن أحدث الاكتشافات في علم الأحياء التطوري والإجابات التي وفرتها لنا واحدة من أعظم المناقشات العلمية في عصرنا. يدعونا الكتاب إلى رحلة حول العالم لمقابلة باحثين منشغلين بالكشف عن أسرار الحياة. خلالها يخبرنا جوناثان لوسوس، أحد رواد النهج التجريبي للتطور، كيف أن التجارب على أسماك الجوبي، وذباب الفاكهة، والبكتيريا، والثعالب، وفئران الصيد، بالإضافة إلى عمله الخاص على سحالي أنول الكاريبي، مكنت من إعادة عرض فيلم الحياة لمعرفة مدى السرعة التطور وكيف يمكن أن تجعله خاصية التكاثر قابلاً للتوقع.

## المريض صفر: حكايات الطب المعكوسة

المؤلف: لوك بيرينو

الناشر: لاديكوفيرت، باريس، فرنسا

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 184 صفحة

اللغة الفرنسية



يحتفل التاريخ بانتصارات الأطباء على المرض، لكنه يتجاهل مرضاهم الذين أدت اضطراباتهم أو معاناتهم أو شكاواهم إلى ظهور تشخيصات جديدة، أو أدت إلى التشكيك في بعض النظريات الطبية أو فتحت آفاقًا علاجية جديدة. تحكي هذه القصص، المسروقة مثل قصص قصيرة، تاريخًا آخر عن الطب: تاريخ يبدأ "من الأسفل"، يحل فيه المرضى الذين لا يعرفون بعضهم البعض أحيانًا والمرضى الذين يُحسبون على أنهم المريض صفر، ليلعبوا أدوار الأبطال، ويكشفوا التاريخ السري للطب البشري.

من بين هذه "الحالات"، بعضها مشهور، مثل جوزيف مايستر الصغير، الذي سمح للقاح باستور المضاد لداء الكلب بتجاوز عتبة التجارب البشرية، أو فينياس غيج، الذي كشفت مجتمته المثقوبة بواسطة قضيب عن وظائف الفص الجبهي. لكن أكثرهم منسى أو مجهولون، مثل أوغست ديتر، الذي جعل ألويس ألزهايمر مشهورًا، وماري مالون، أكثر حاملي الأمراض صحة، الذين لم يعانون قط من التيفوئيد الذي انتشر في مجتمعهم، أو هنريتا لاكس، التي كانت تعاني من سرطان مدمر، بينما خلاياها تتمتع بقوة استثنائية في الانتشار مما أثار البحث حول جينات الصمود في وجه الشيخوخة بالسفر حول العالم. من خلالهم، يتساءل هذا الكتاب عن أخطاء وتجاوزات الطب من الأمس إلى اليوم.

## اللاوعي أو منسي التاريخ: أعماق وتحولات وثورات الحياة العاطفية

سنة النشر: 2021

عدد الصفحات: 592 صفحة

اللغة الفرنسية

المؤلف: هيرفي مازوريل

الناشر: لاديكوفيرت، باريس، فرنسا



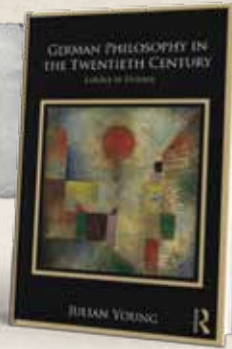
ماذا لو لم يكن اللاوعي نفسه منفلتًا من التاريخ؟ من خلال وضعه خارج النطاق الاجتماعي، وما وراء التاريخ، ترك فرويد التحليل النفسي محاصرًا في فرضية مزعجة. لقد تصرف كما لو أن بنية الشخصية التي لاحظها في مرضاه في فيينا في نهاية القرن التاسع عشر قد أثرت على الإنسان عامة في كل زمان ومكان وليس في ممثلي حقبة معينة أو ثقافة أو عالم اجتماعي مخصص ومحدود جدًا. مستفيدًا من تاريخ الحساسيات وعلم الاجتماع النفسي والأنثروبولوجيا النقدية، يود هذا الكتاب أن يوضح كيف أن حياتنا النفسية العميقة كلها مطبوعة بالتاريخ. ومن الاقتناع بهذا الطرح، يحتاج المرء فقط إلى فحص التحولات البنيوية لكبت الدافع والسيطرة العاطفية، فهي على المدى الطويل مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالثورات الصامتة لأعرافنا، والتغيرات العميقة في حياتنا العاطفية، والتحولات السرية في الرغبات والمحظورات، وعتبات الحياء وحدود الحميمية. من هنا نقر بوجود مشاكل العصر وعصاب الطبقة الاجتماعية. ثم يجب أن نفكر أيضًا في التجديد الدائم للأوهام التي تتحرك منها الكائنات الداخلية، والاختلافات في رمزية الأحلام، التي تنسج على غرار تطورات المخيال الاجتماعي وليس على النماذج النفسية العالمية، أو حتى الطفرات الصماء للمجمعات النفسية. (بما في ذلك عقدة أوديب) التي تتوافق مع تحولات كل أسرة و القرابة والعلاقات بين الجنسين. يدعو الكتاب التحليل النفسي و العلوم النفسية كلها إلى الأخذ في الاعتبار ما استغرقته قرون من التاريخ لتشكيل اللاوعي الذي نحن عليه الآن. ويبدو أيضًا أن هناك شيئًا واحدًا مؤكدًا: من خلال فصل النفس كثيرًا عن التاريخ الاجتماعي، فقد تجاهلنا منذ فترة طويلة المدى الذي تدوم فيه حياتنا العاطفية والنفسية، في أكثر طبقاتها عمقا وعمومًا حيث تتممور وتستقر في الحياة الاجتماعية والتاريخية للكائن البشري.

# إصدارات عالمية جديدة

اللغة الإنكليزية (محمد الشيخ)

## الفلسفة الألمانية في القرن العشرين (من لوكاتش إلى شتراوس)

المؤلف: راوتليدج  
دار النشر: بلومسبوري أكاديميك  
سنة النشر: 2020



لا زالت الفلسفة الألمانية تملأ دنيا الفلاسفة وتشغل المهتمين بالفكر الفلسفي عبر أرجاء العالم. ولربما كانت ماجرياتها في القرن العشرين من أكثر ماجريات الفكر البشري بحثاً على التشويق وإثارة للجدل. وحين يبحث القارئ عن يأخذ بيده في مجاهل هذه الفلسفة، فإنه على الخبير يقع في هذا الكتاب الذي دار جزؤه الأول (2018) على مسرى الفكر الفلسفي الألماني من ماكس فيبر إلى مارتن هايدجر، وها هو يصل ما انقطع في هذا الكتاب المفرد (2020): من لوكاتش إلى شتراوس؛ حيث يتناول وجوه الفكر الألماني الشهيرة التالية: جورج لوكاتش (نقد الرأسمالية: الاغتراب، التشيؤ، الوعي الشقي)، إرنست توغنداهات (الماركسية الطوباوية)، فالتر بنيامين (التمازج بين الفينومينولوجيا والفكر اليساري، العمل الفني ...)، أوسفالد شبنجلر (اليمين المتشائم ومفهوم انحطاط الغرب)، ماكس شيلر (الكاثوليكية المحافظة والتراتب الموضوعي للقيم)، كارل شميث (فشل الليبرالية، الديكاتورية، الأصدقاء والأعداء)، ليو شتراوس (رفض النسبية الأخلاقية والعودة إلى الفلسفة الكلاسيكية).

## شجاعة الوجود (فلسفة للحياة والممات في عصر فايروس كورونا)

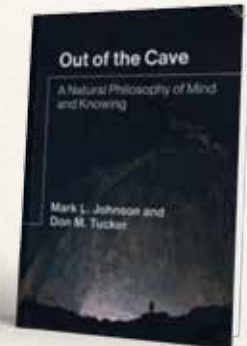
المؤلف: رامين جهانبلو  
الناشر: أورين بلاكسوان  
سنة النشر: 2020



على وِزَان عنوان كتاب الفيلسوف الديني الشهير بول تيليش: شجاعة أن تكون، يأتي كتاب الفيلسوف الإيراني رامين جهانبلو: شجاعة أن توجد. في هذا الكتاب ذي النفس "المتشائم" (المتشائم/المتفائل) يعالج المؤلف ظاهرة مواجهة بشرية اليوم، بأثر من جائحة كورونا، الموت البغيض - الموت وقد اختزل إلى مجرد رقم يتلى. ويتأمل هو في الخوف من الموت الذي أحدثه فينا عدو غير منظور وغير معلوم، وكيف غير هذا الخوف من أنماط تفكيرنا وعيشنا ووجودنا، سواء العمومي أو الخصوصي؛ هذا بينما إجراءات الحجر والعزل والمراقبة - التي باتت تبعد على نحو علني و صفيق المجتمع «السليم» من المجتمع «السقيم» - قد انتهكت حقوق الإنسان الأساسية وحرياته الجوهرية. وها قد نشأت عن الجائحة المعلومة المجهولة زمة معنوية وفراغ وجودي. مما يجبرنا، في رأي الفيلسوف، على إنشاء فلسفة جديدة تراجع قيم الإنسان الجوهرية، وتتأمل في مقدرة الإنسانية الكونية على التعاطف والأمل والعدالة وعلى إنشاء عالم أخلاقي مشترك وتضمن إنساني متشاطر قمين بمواجهة الموت الذي نهاه.

## خارج الكهف (فلسفة طبيعية للذهن والمعرفة)

المؤلف: مارك جونسون ودون توكر  
دار النشر: إم آي تي برس  
سنة النشر: 2021



من ذا الذي لم يعد يذكر أمثولة الكهف التي أوردتها أفلاطون في محاوراته رامزا بها إلى المعرفة البشرية وانسجانها بالبدن وانعتاقها بالذهن؟ الحال أن مؤلفي هذا الكتاب يقولون لنا: لقد أخطأ أفلاطون في تصويره البدن سجناً للذهن وللعالَم الفيزيائي والطبيعي، وواهم هو من لا يزال يعتقد أن المعرفة الحقة شأن أبدي مطلق منسلخ عن المكان والزمان والجسد. ذلك أن من شأن التطورات الحديثة في مجال العلوم أن تكذبه؛ إذ تظهر أن أجسامنا إنما تُشكّل أذهاننا وفكرنا ولغتنا بأعمق تشكيل يكون. يأتلف في هذا الكتاب فيلسوف وعالم أعصاب، ليقترحا علينا مراجعة جذرية لبعض الأنظار التقليدية عن المعرفة والسلوك البشريين. ويدافعان عن نظرية في المعرفة بحسبانها راسخة في الجسد متجذرة في الوجدان، ويعدان فعل المعرفة سيرورة تشكلها قيمنا الحيوية والثقافية. وهما بذلك يؤسسان لفلسفة في الذهن طبيعية تنبع من تلاقح علم الأحياء وعلم النفس وعلم الحاسوب والفلسفة، ويفسران كيف أن أنشطتنا الذهنية العليا إنما هي متجذرة في أجسادنا عبر عمليات الإدراك والوجدان والإحساس.

# إصدارات عالمية جديدة

اللغة ملايالم ولغة أردو (فيلابورتو عبد الكبير)

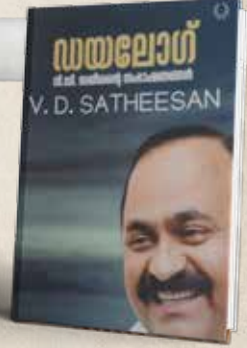
## المسلمون الهنود وهويتهم الإسلامية

تأليف: الدكتور محمد فهمي أختر الندوي  
الناشر: Institute of Objective  
Studies, New Delhi  
سنة النشر: 2021  
عدد الصفحات: 210 صفحات  
اللغة أردو



## حوارات

المؤلف: في. دي. ساتيشان  
الناشر: كوزيكود  
سنة النشر: 2021  
عدد الصفحات: 162 صفحة  
اللغة ملايالم



يعكس مضمون هذا الكتاب حالات المسلمين الراهنة في الهند والمشاكل التي يواجهونها والاستراتيجيات التي يجب اتخاذها لإيجاد الحلول لتلك المشاكل. يبحث فيه المؤلف عن ضمان الدستور الهندي لحفظ هويتهم الثقافية كأقلية رئيسية ومسؤوليتهم لرفع القيم العالية في حياتهم الاجتماعية كأمة وسط. ويُسلط الضوء على ما قام قداموهم بإسهامات عديدة في شتى المجالات التي جعلت الحضارة الهندية غنية. وفي القسم الأول تحت عنوان المسلمون الهنود والثقافة الإسلامية يناقش المؤلف الموضوعات التالية: أهمية الهوية الإسلامية، ضرورة التزام الجيل الجديد نحو الإسلام، روح الثقافة الإسلامية ومعالمها، تسلسل عناصر الثقافة غير الإسلامية إلى المجتمع الإسلامي. وفي القسم الثاني تأتي عناوين مثل الحرية الدينية في الدستور الهندي، عناصر الدستور الهندي الأساسية والمبادئ الإسلامية، العدل والمساواة والأخوة في الدستور الهندي ومقارنتها مع التعليمات الإسلامية. وفي القسم الثالث يحاول المؤلف ليؤكد على أهمية التضامن ووحدة الكلمة بين المسلمين فيما يواجهون من المشاكل العامة رغم اختلاف مدارسهم الفكرية. وفي القسم الأخير تحت عنوان الأقلية المسلمة والقيم الإسلامية يستعرض التصور الإسلامي الجامع للحقوق الإنسانية، التصور الإسلامي لحرية الإنسان، العدالة الاجتماعية والمساواة الجنسية في الإسلام، كيف يعالج الإسلام التطرف.

حوارات أجراها رئيس المعارضة في مجلس الشعب في ولاية كيرالا في. دي. ساتيشان مع عدد من الشخصيات البارزة يشاركون معه تجاربهم في حقولهم المختلفة. يمتاز الكتاب في حسن اختيار الشخصيات، لأن جميعهم معروفون دوليا ومحليا كما أنهم مهرة في حقولهم المختصة. ينتمي ساتيشان إلى حزب المؤتمر المعارض إلا أن هذه الحوارات لا يشوبها إنحياز حزبي حيث لم يتردد في أن يضم إلى سلسلة حواراته حتى الإقتصادي اليساري الدكتور طوماس آيساق، أحد القياديين في الحزب الحاكم الشيوعي والوزير السابق المالي، بل وضع الحوار معه في مقدمة الحوارات الأخرى. الأسئلة التي يطرحها ساتيشان يتضح منها أنه مُلمّ بالموضوعات التي يناقشها وبخبرات من يحاورهم في مجالاتهم المختلفة. يستهدف من خلال هذه الحوارات رسم خريطة كيرالا المستقبلية.

## هيدجيفار - حياته وحركته الهندوسية المتطرفة

المؤلف: مولانا عبد الحميد النعماني  
الناشر: Institute of Objective Studies, New Delhi  
سنة النشر: 2021  
عدد الصفحات: 300 صفحة  
اللغة أردو



الهند موطن عديد من أقوام إثنية مختلفة وديانات وثقافات متنوعة. كان من أحلام قادة الحركة الاستقلالية تشكيل مجتمع متجانس مبني على القيم السامية من الحرية والإنصاف والعلمانية بالتعاون والتضامن مع جميع هذه الفئات. منذ أيام نضال الاستقلال كان في الهند تيار مخالف لهذه الفكرة يدعي أن الثقافة الهندية ثقافة وحيدة. على جميع السكان في هذا البلد الانسجام مع هذه الثقافة وهي الثقافة الهندوسية. يزعمون أن الهندوسية ليست ديانة بل ثقافة عريقة لهذا البلد. هذه الثقافة هي التي تُحدّد جنسية سكان الهند. وبناء على هذه النظرية يعتبرون الديانات مثل الإسلام والمسيحية والنظريات مثل الماركسية والاشتراكية ديانات وحركات وافدة لا تتماشى مع الثقافة الهندية الأصيلة بل هي ديانات وحركات وافدة من خارج الهند ولذلك هدامة للتقاليد الهندية، يقولون إن على الجميع الاعتراف بل عبادة رموز هذه الثقافة مثل راما وسيتا وأخذونهم كنماذج في حياتهم الاجتماعية، وإلا سيُعتبرون مواطنين بالدرجة الثانية. وتعرف هذه النظرية الإثنية التطهيرية في الهند نظرية "هندوتوا"، وضع حجرها الأساسي الثالوث الهندوسي "سافاركار" و"هيدجيفار" و"جولفاركار". ويتناول هذا الكتاب تفاصيل حياة أحد هؤلاء القادة الهندوسيين "هيدجيفار" باني المنظمة الهندوسية المتطرفة المعروفة باسم المنظمة المتطوعة للخدمات الوطنية، وباختصار بالإنجليزية R S S. ويتناول أيضا نشاطات هذه المنظمة الفاشية الإيطالية كثيرا في بنيتها التنظيمية ومزاعمها التطهيرية المتمزقة. يمكننا أن نرى في كتبهم مثل Bunch of Thoughts لـ "جولفاركار" فرط الثناء لموسوليني الإيطالي. وهذا الكتاب يعطينا تصورا عن فكرة "هندوتوا" ونشاطات حركتها الأخبوية في الهند المعاصرة.